

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٧٩ - المحرم ١٤٢٩هـ / يناير- فبراير ٢٠٠٨م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 379- Jan./ Feb. 2008

الملف ← كولومبس.. الوجه الآخر

← المستطيلات الغامضة في منطقة حائل

← ملامح الثقافة العربية الإسلامية في داغستان


كتاب اللامع العزيزي

لأبي العلاء المعري

(شرح ديوان المتنبي)

تحقيق: محمد سعيد المولوي

الكتاب الرابع عشر في سلسلة تحقيق التراث

تحقيق التراث (١٤)



تحت الطبع

يصدر قريباً عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

للاستفسار

إدارة التسويق: ٤٦١١٢٠٨

ناسوخ: ٤٦٥٠٨٥٧

ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣



ما الدوافع الحقيقية لكشف أمريكا على يد كريستوفر كولومبس؟، هل كان رجلاً نزيهًا، أم كان متعصبًا وانتهازيًا ومنافقًا وتاجر عبيد؟وهل كان من أصل يهودي تسانده عصبة من اليهود، أم كان مسيحيًا يسعى إلى نشر المسيحية بين الوثنيين والمتوحشين؟ أسئلة كثيرة يزيح هذا الملف الستار عنها.

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

نايف بن مارق الضيط

حوى النبي علي صالح

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد. ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات.

أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤٢٥٠/٤١

ردمد ٠٤١١ ـ ٨٥٢٠

الناشر

دار الفيصل الثقافية



ضوابط النشر

يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.

لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.

يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.

في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.

لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.

المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر، ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.

يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.

نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».

يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

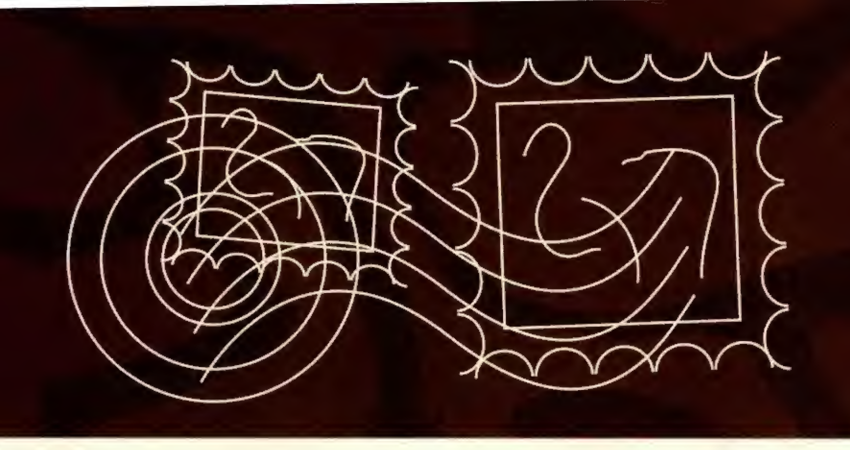
السعودية ١٠ ريالات. الكويت ٠٨٠٠ فلساً. الإمارات ١٠ دراهم. قطر ١٠ ريالات. البحرين دينار واحد. عُمان ريال واحد. الأردن ٥٧٠ فلساً. اليمن ١٠٠ ريال. مصر ٤جنيهات. السودان ١٥٠ دينارًا. المغرب ١٠ دراهم. تونس ٢٥٠. ١دينار. الجزائر ٨٠ دينارًا. العراق ٨٠٠ فلس. سورية ٤٥ ليرة. ليبيا ٨٠٠ درهم. موريتانيا ١٠٠ أوقية. الصومال ٢٠٠٠ شلن. جيبوتي ١٥٠ فرنكاً. لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية. الباكستان ٢٠ روبية. المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية. الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع. هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١). مصر. مؤسسة توزيع الأهرام. شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥. فاكس ٣٣٩١٠٩٦. ٢٠٢... سورية. المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٢١٢ فاكس ٢١٢٢٥٣٢. ١١. ٠٠٩٦٣، تونس. الشركة التونسية للصحافة. ٣نهج المغرب. ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٤٠٠٣٢٢/ هاتف ٩٣٢٢٤٩. ٧١. ٠٠٢١٦، قطر. دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع. ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢. فاكس ٤٦٦١٨٦٥. ٠٠٩٧٤، الأردن. شركة وكالة التوزيع الأردنية. ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١. فاكس ٤٦٣٥١٥٢. ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين. مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠. فاكس ٥٣١٢٨١. ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة. مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٢٥٦٦٢. فاكس ٢٦٦٩٨٢٧. ٤. ٠٠٩٧١، الكويت. شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢. فاكس ٢٤١٧٨٠٩. ٠٠٩٦٥، المغرب، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢. ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية. القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢. ٣. ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







رسائلكم

الساحرة المستديرة

لقد أعجبني العدد المزدوج من المجلة (٣٧٧- ٣٧٨)، فقد اشتمل على موضوعات متنوعة، ترضي مختلف الأذواق، ولكوني مهتماً بكرة القدم، جاء تناول تأثير هذه الساحرة المستديرة في عالم اليوم متميزاً ومختلفاً عن الأسلوب الذي يتم به تناولها في الصحف والمجلات السيارة.

ولعل هذه الخلفية التاريخة التي تحرصون عليها هي التي تعطي أبعاداً لموضوعات الفيصل، آمل أن تتناولوا ما يصاحب هذه اللعبة من سلوكيات وتحليلها من خلال الاستعانة بمختص في علم النفس، لاعتقادي أن لهذه السلوكيات دوافع كثيرة قد تغيب عنا.

وتقبلوا تحياتي

م. عمرو إبراهيم وهبي

الرياض - السعودية

التحرير:

نشكر لك إطراءك، ونأمل أن نكون عند حسن ظن جميع الإخوة القراء، والأبعاد التي ذكرتها يمكن تناولها في أعداد قادمة.

أين نجد المجلة؟

أعاني كثيراً للحصول على عدد من مجلة «الفيصل»؛ لأن هناك محلات محددة هي التي تحرص على وجود «الفيصل» فيها فور صدورها، ولكن منذ مدة وجدت فتوراً في اهتمام بعض المحلات التي كنت أجد فيها المجلة، ولم أعد أدري هل هذا ناتج من سياستكم في التوزيع، أم أن هذه المحلات هي التي تحدد ما تريد من المجلات؟ آمل حل هذه المشكلة، لتوفيرها في سبيل الحصول على المجلة.

د. مجدي عبدالوهاب

الرياض - السعودية

التحرير:

نعمل على حل مشكلة التوزيع منذ مدة ونأمل أن ننجح في ذلك، وننصح الإخوة الحريصين على اقتناء المجلة شهرياً بالاشتراك السنوي لتصلهم إلى عنوانهم، وفي ذلك، لتوفير للوقت والجهد، إلى جانب أن الاشتراكات مخفضة.

المشكلة قائمة

أجد صعوبة في الحصول على مجلة «الفيصل»، وقد أصبحت أعتمد على القادمين من المملكة العربية السعودية الشقيقة لإحضار بعض الأعداد، وقد وعدتم بحل مشكلة التوزيع في السودان، إلا أنها لا تزال قائمة، آمل ألا تحرمونا من مجلتنا العزيزة.

هيثم توفيق أحمد جبر

الخرطوم-السودان



ردود سريعة....

الأخت باسمة حقي - الرياض - السعودية:

ترحب المجلة بكتابات جميع الإخوة والأخوات، وهناك معايير تحكم النشر يتم من خلالها إجازة المواد أو الاعتذار عن نشرها.

ولا توجد نية في الوقت الحالي لإيجاد أبواب، أو زوايا ثابتة، وشكراً لاهتمامك بمتابعة المجلة، وإبداء الرأي.

الأخ أبو فراس - دمشق - سورية:

ستعود المجلة من هذا العدد إلى الصدور شهرياً، ونشكر تفهمكم وتفهم الإخوة القراء لظروف صدور أعداد مزدوجة في الأشهر الماضية. ونأمل أن تلمسوا تطوراً في المجلة في الأعداد القادمة، من حيث المادة التحريرية، والإخراج.

الأخ بوعر عارة زوبي - نيسة - الجزائر:

نشكر لكم إشادتكم بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وما يقوم به من جهد في خدمة الثقافة العربية والإسلامية، وقد تم تحويل رسالتك إلى جهة الاختصاص.

الأخ حمايدية خالد - نيسة - الجزائر:

نشكرلك ثقتك، ولكن يصعب علينا إفادتك بالمراجع العلمية التي تحتاج إليها؛ لأنك لم تحدد الحقل الذي تختص فيه، فيمكنك تحديد موضوعك، وإرسال طلبك إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية على العنوان الآتي: ص ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣

الأخ الزيوش - مدينة بو سعادة - الجزائر:

سوف يؤخذ في الحسبان اقتراحك بمد فترة تلقي رسائل المشاركين في المسابقة، والأعداد المزدوجة في الفترة الماضية توجد مسابقة لكل عدد مزدوج، ومن هذا العدد ستعاود المجلة الصدور شهرياً.

التحرير:

نعتذر عن استمرار هذه المشكلة، إلا أن السعي إلى حلّها لم يتوقف، ونأمل أن يكون ذلك في القريب العاجل.

المسابقة والأمير عبدالله الفيصل

أنا من القراء الدائمين للمجلة، ومن المتابعين للمسابقة، ورأيي أن أسئلتها صعبة جداً، وتستنفد وقتاً طويلاً حتى يمكن الإجابة عنها، بعد البحث في الشبكة العنكبوتية، والمراجع، وقد لا يصل القارئ بعد كل هذا التعب إلى الإجابة السليمة. فرجائي تعديل شكل المسابقة ومضمونها حسب وعدكم لنا.

ومن ناحية أخرى، أبدي لكم إعجابي الشديد بالعدد المزدوج (٣٧١- ٣٧٢) الخاص بالجماديين من حيث الموضوعات، إلى جانب الملف المتميز عن صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل، الذي أحبه كثيراً، وأعجب بشعره. وليتكم تنشرون شيئاً من أشعاره.

وتحياتي لكل من يسهم في إغناء صفحات الفيصل.

باسم ياسين أحمد العريقي

الحديدة - اليمن

التحرير:

سيتم النظر في المسابقة شكلاً ومضموناً كما ذكرتفي القريب، ونعدك بملفات أخرى تنال إعجابك.

أسئلة كثيرة، كلها شكوك حول الدوافع الحقيقية لكشف أمريكا على يد كريستوفر كولومبس.. هل كان رجلاً نزيهاً له كل صفات الفضائل الأوربية، كما يقول المؤرخ واشنطن أيرفنج في كتابه عن تاريخ كولومبس ورحلاته؟ أم كان متعصباً وانتهازياً ومنافقاً وتاجر عبيد!! وهذا ما تناولته بعض الدراسات الحديثة.. وهل كان من أصل يهودي تسانده عصبة من اليهود سبقت بآمالها الصهيونية بعدة قرون؟ أم كان مسيحياً مؤمناً يسعى إلى نشر المسيحية بين الوثنيين المتوحشين، (والكفرة) من المسلمين، بل واليهود الهراطقة، والوصول إلى الفردوس المفقود الذي جاء ذكره في العهد القديم (التوراة)!! وهل حقاً ما قيل من أن الملكة أيزابيلا ملكة قشتالة رهنت جواهرها لمساندة رحلة كولومبس؟ أم أن اليهود وذوي المطامع الخاصة كانوا من وراء تمويل هذه الرحلات.. ولماذا؟ أسئلة كثيرة نحاول إزاحة الستار عنها في هذه الدراسة.

كولومبس.. الوجه الآخر

سمير عطا

القاهرة - مصر



غرناطة وكشف أمريكا

لقد شهد عام ١٤٩٢م (٨٩٧ هـ) وقوع حدثين متلازمين، كان لهما أثر فارق في تاريخ الحضارات الإنسانية، هما سقوط غرناطة وزوال الأندلس، وميلاد عالم جديد، أضاف إلى تاريخ البشرية صوراً اتسمت بنزعات التعصب، ووقائع الإبادة منذ أول يوم وضع كولومبس فيه قدميه على هذا العالم الجديد حتى يومنا هذا..

ولقد تواكبت الأحداث معاً، فربما لم تكتشف أمريكا لو لم تسقط غرناطة.. وربما طويت محاولات كولومبس لكشف أمريكا في طي الزمن، مثل ما سبقها من محاولات على يد النورثمن الفايكنج والفينيقيين، وحتى المحاولات العربية والإفريقية والصينية التي لم تستكمل في هذا السبيل ما لم تسيطر الأطماع الاستعمارية على دول أوربا، والتسابق فيما بينها لاحتضان نعرة الصليبية من جديد، ولاسيما إسبانيا والبرتغال، ومن بعدهما فرنسا وإنجلترا..

البرتغال وتطويق بلاد الإسلام

منذ انتهاء الحروب الصليبية التي امتدت من عام ١٠٩٨م حتى عام ١٢١٩م، بطردهم من عكا على يد الأشرف خليل بن قلاوون - أحد سلاطين المماليك البحرية - لم يتوقف الأوربيون عن سعيهم إلى السيطرة على الأراضي المقدسة، بالاتصال بقوى أجنبية يمكن أن تحالفهم ضد الإسلام، مثل: الصين في آسيا[1]، والحبشة في إفريقية، وعلى رأس هذه القوى ما يشاع عن وجود ملك قديس يعيش في مكان ما بإفريقية، أو بآسيا للتحالف معه، الذي انتشرت أخباره في كل دول أوربا باسم القديس يوحنا برستر جون، ثم اتضح بعد ذلك أنه ملك خرافي لا وجود له[2].

ومع سقوط سبتة المغربية في يد البرتغاليين عام ١٤١٥م، تفتحت شهية هنري الملاح (دون هنري) الابن غير الشرعي للملك البرتغالي جون الأول للمغامرة واكتشاف سواحل إفريقية الغربية، إذ سمع وهو في سبتة - وكان قد

إن نزعة حب البحر لدى الصغير كولومبس كانت أكثر من ارتباطه بعمل الحياكة

تجارة الرقيق كانت دافعًا للاكتشافات الأوربية



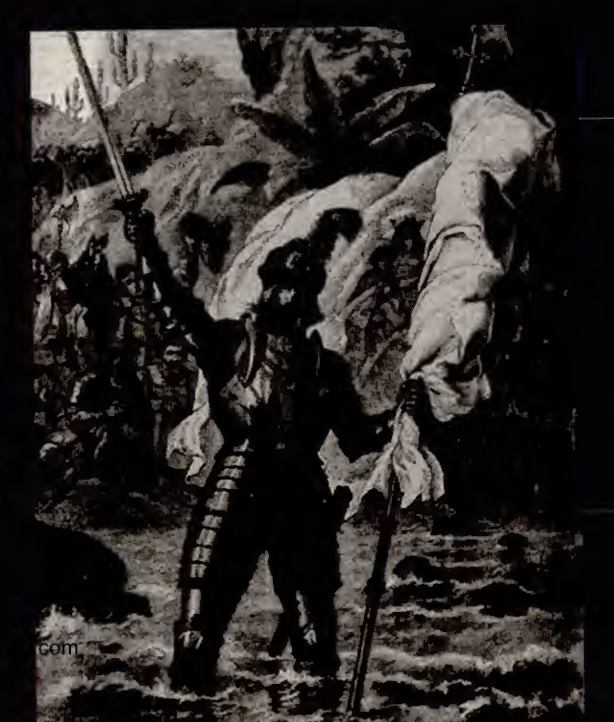


عين حاكماً عليها - عن قناطير الذهب التي يزخر بها هذا الساحل، وهذا ما يزيد بلاده غنى وقوة في مواصلة موقفها من دول الإسلام، خصوصاً بعد أن أصبح هو نفسه أستاذاً أعظم لجماعة المسيح، التي كانت قد تأسست عام ١٣١٩م عقب حل جمعية الفرسان الداوية، التي كانت غايتها الأولى محاربة المسلمين(٣).

وفي عام ١٤٢٦م أقام هنري الملاح مكتباً يعرض فيه أهم ما يصل إليه البحارة والمغامرون من معلومات وخرائط عن البلاد التي يزورونها على الساحل الإفريقي الغربي، وفي المحيط قريباً من ساحل البرتغال وشمال غرب المغرب.. ومن ثم تم كشف جزر الآزور(٤) وجزائر الماديرا(٥) ورأس فيردى بالمحيط الأطلنطي والوصول إليها يعادل ثلث المسافة بين البرتغال وأمريكا.

كان هنري الملاح شديد التعصب لأفكاره الدينية والاستعمارية، فرسخ حياته لرسالة مقدسة لديه هي، حرب المسلمين في الهند، وجزائر الشرق الأقصى، وكسب شعوب تلك البلاد إلى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وليس أدل على

جون الأول



شهد وقوع حدثين متلازمين، كان لهما أثر فارق في تاريخ الحضارات الإنسانية، هما سقوط غرناطة وزوال الأندلس

الصفة الدينية لتلك الرحلات التي نظمها هنري الملاح من تلك الرسالة التي بعث بها البابا نيقولا الخامس إلى الأمير هنري الملاح في عام ١٤٥٤م يحثه فيها على حرب (الكفرة) المسلمين أعداء المسيحية، وأن يدخل في زمرة المسيحية تلك الشعوب التي لم تتلوث بوباء الإسلام(٦).

ومع ما زعمه مؤرخون وجغرافيون عرب، مثل: ابن خلدون، وأبو الفداء، والإدريسي، عن استحالة وجود أرض غربي المحيط الأطلنطي، إذ لا يوجد وراء هذا البحر معمور.. فإن قصة الإخوة المغررين، وهم إخوة أندلسيون ومحاولاتهم سبر غور المحيط ووصولهم إلى جزر الكناري(٧)، وما أشيع عن محاولات أخرى لملوك غانا ومالي الإسلاميتين واقتحام المحيط بسفنهم - وإن أخفقت محاولاتهم - كانت هذه المحاولات معروفة، ويتناولها بالحديث كثيرون من بحارة ذلك العصر في إسبانيا، والبرتغال، وصقلية، ودوقيات البندقية، ونابولي، وجنوه، وفلورنسا بإيطاليا..

لم يكن هنري الملاح قبطاناً أو رباناً، ولم يرتد عباب البحر، وإنما كان يموّل، ويعتمد على ما يمده به رجال البحر عقب العودة من مغامراتهم ورحلاتهم. وبعد نجاح ربابنته في الوصول إلى تخوم موريتانيا وغانا وعادوا ببعض الزنوج إلى البرتغال، فقد رأى أن يعامل هؤلاء الزنوج بوصفهم أرقاء وبشراً في وقت واحد، أي: وثنيين يمكن كسبهم وتحويلهم إلى النصرانية، أما المسلمون فيجب أن يقهروا، ثم يقتلوا(٨).

كما كتب هنري إلى البابا يطلب منه الموافقة على عد كل البلاد التي يستكشفها ربابنته داخلة ضمن نطاق النفوذ البرتغالي.. لم يستجب البابا مارتين الخامس (الذي خلف نيقولا الخامس) من فوره لرجاء الأمير هنري فحسب، بل ذهب إلى أبعد من هذا فوهبه هذه الممالك لتكون ممتلكات مستديمة للتاج البرتغالي.. ثم أمعن البابا في الكرم والسخاء فأحل من الأوزار والخطايا أرواح من يلقون حتفهم في تلك المغامرات (أي يعدون شهداء العقيدة).. وبذلك أصبح لهذه المغامرات الاستكشافية الاستعمارية مثل ما كان للحروب الصليبية سابقاً من عد نهج البابا أوجينوس الرابع ومنهج سلفه[٩].

كريستوفر كولومبس

إبّان هذه السنوات ولد كريستوفر كولومبس في مدينة جنوة الإيطالية، في سنة تراوح بين عامي ١٤٤٠م و ١٤٥٠م؛ لأن تاريخ ميلاده غير معروف على وجه الدقة، وإن كان كثير من المؤرخين حددوه في عام ١٤٥١م. وكان أبوه دومنيكو كولومبو، وأمه سوزانا يعملان في حياكة الصوف، كما كان أبواهما من قبل.. وتشرب كولومبس عن آبائه وأجداده هذه الحرفة في صغره.

كان القديس المفضل لوالده هو القديس كريستوفر دومينيك الذي يرونه حامي جميع المسافرين في البر والبحر، فسمى كولومبو ابنه على اسم هذا القديس تيمناً به.. وكان لذلك أهمية بالغة في التكوين النفسي لكولومبس، إذ كلمة كريستوفر تعني حامل المسيح Christ Bearer، ويرجع هذا إلى أسطورة قديمة، وهي أن قديساً حمل طفلاً، وعبر به النهر في أمان، وأن هذا الطفل لم يكن إلا المسيح نفسه.. وهذا الأمر جعل كولومبس يشعر بأنه قديس كريستوفر جديد اختاره الله ليحمل المسيحية عبر البحار إلى الإنديز، (جزر الهند) عندما فكّر في الرحيل إليها[١٠].

وكانت جنوة Genoa مسقط رأسه من أهم الموانئ المطلة على البحر الأبيض المتوسط تحفل بالسفن التجارية الآتية والمغادرة، ولابد أنها أثارت أحلام الفتى الصغير فجذبته إلى عشق البحر والمغامرة. وكان لكولومبس أخ أصغر بفارق سبعة عشر عاماً هو جايكومو (دييجو)، وأخت تزوجت من تاجر اسمه بارتلميو، كما كان له ابن عم اسمه جيانتو (جوني) قدر لهم أن يشاركوا كولومبس في مغامراته على الرغم من أنهم لم يشاركوه صبياً عشقه البحر.

ولأن نزعة حب البحر لدى الصغير كولومبس كانت أكثر من ارتباطه بعمل الحياكة، فقد كان ينتهز كل فرصة للمشاركة في رحلات بحرية منذ كان في العاشرة من عمره، فزار كثيراً من موانئ البحر الأبيض المتوسط، والتعرف إليها خصوصاً إسبانيا، والبرتغال، واليونان، وفرنسا، وإنجلترا، وربما شمالاً حتى آيسلندا.

وحين بلغ كولومبس الخامسة والعشرين من عمره التحق بقافلة بحرية جنويّة مسلحة، قدر لها أن تشتبك في معركة مع بعض السفن الفرنسية، وغرقت السفينة التي كان كولومبس يعمل فيها، إلا أنه كتبت له النجاة بعد أن تعلق بلوح خشبي ساعده على السباحة حتى الشاطئ. كان ذلك عام ١٤٧٦م.. ولم تكن تلك أول مغامرة حقيقية يقوم بها، فقد سبق له أن اشترك في معركة بحرية ضد المسلمين في تونس.

وفي الوقت الذي كانت فيه دوقية البندقية والأساطيل العثمانية تسيطران على تجارة شرق البحر الأبيض المتوسط،

كولومبس كان يظن أنه سوف يقابل أقواماً مجهولين يتكلمون بالضرورة بلغة تنتمي إلى العبرية

كان بحارة لشبونة (عاصمة البرتغال) يتوسعون في نشاطهم على السواحل الغربية من قارتي أوربا وإفريقية، من آيسلاند شمالاً إلى غينيا جنوباً، وهذا الأمر جذب أهالي جنوة المغامرين إلى الرحيل إلى لشبونة؛ للاشتراك في هذا النشاط، وكان من بين من رحلوا إليها كولومبس وزوج أخته بارتلميو. وسكن كولومبس بالقرب من نهر تاجه Tagus، الذي يصب في المحيط الأطلنطي، ويزخر بعشرات السفن، ومختلف الجنسيات بلغاتهم المتباينة، وهذا ما ساعد كولومبس على أن يتميز بدراسة عدة لغات. وفيما بين لشبونة وجزيرة بورتو سانتو (قرب جزر ماديرا) كان شغله الشاغل هو رسم الخرائط وبيعها.. كما تزوج من ابنة ملاح برتغالي كان يحتفظ في خزائنه بكثير من الخرائط والآلات البحرية، (وقيل: إنه كان حاكماً للجزيرة).. وكانت الزوجة حفيدة لرجل كان المساعد الأول للأمير هنري الملاح، وذلك يفسر وجود هذه الخرائط بكثرة لدى والد الزوجة. وأياً كان الأمر فقد تعلم على يديه كل ما كان معروفاً حتى ذلك الوقت، عن الرياح والتيارات البحرية غرب جزر ماديرا في المحيط الأطلنطي، وهذا مهد له الطريق هو وزوج أخته للمعرفة والاختلاط بكثير من الربابنة والبحارة، وآخر أخبار الكشوف الجغرافية، والأوضاع القتالية بين إسبانيا والبرتغال من جهة، والقوى الإسلامية من جهة أخرى.

كانت أوربا تصدر إلى إفريقية الجياد، والخرز الزجاجي، والأجراس النحاسية، والسجاجيد، والصوف الإنجليزي، والكتان الأيرلندي، أما السفن القادمة من إفريقية فكانت محملة بالعبيد، وكان الجواد الواحد يساوي عشرة من العبيد على الأقل[١١]، كما وجد البرتغاليون منبعاً خصباً للذهب في جزء من ساحل غينيا أسموه ساحل الذهب (غانا)، وكان هذا الذهب يحول إلى عملة ذهبية يجري التعامل بها، اسمها كروزادوس Cruzados، وهو اسم مشتق من الاسم التاريخي للحروب التي شنتها أوربا على المسلمين في الشرق، وعرفت باسم الحروب الصليبية.

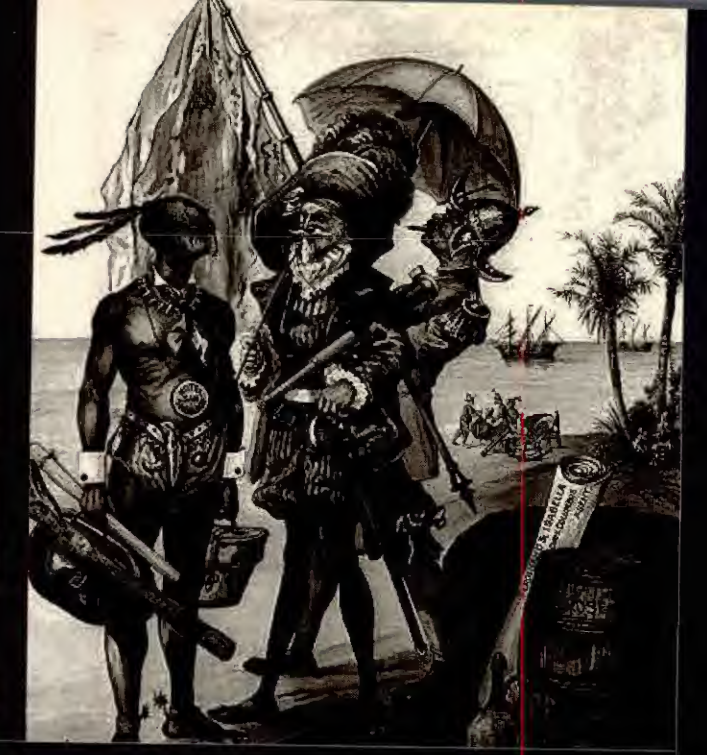
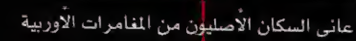
كانت شروط كولومبس التي كان يصر عليها في البرتغال وأمام لجنة تالافيرا هي أن ترفع رتبته إلى منزلة النبلاء

بداية الحلم

وفي لقاء عابر عبّر أحد الربابنة عن سخطه على المحاولات البرتغالية المستمرة على اكتشاف السواحل الإفريقية المملوءة بأسباب المرض والحمى.. وتساءل أمام كولومبس: إذا كان الغرض هو الوصول إلى الشرق.. والأرض كروية كما يؤمن بذلك معظم الملاحين والجغرافيين - نظرياً على الأقل حتى ذلك الوقت - فلماذا لا تنطلق السفن من جزر الآزور أو الكناري غرباً حتى المحيط، فتصل إلى الهند.. ويتم بذلك تحقيق الأهداف والآمال الأوربية في تجارة سلع الشرق والبهارات والذهب، وتطويق بلاد الإسلام.

التقط كولومبس الفكرة، وأثارت فيه روح المغامرة والأحلام بعد أن ملأت عليه شغاف قلبه.. ولم لا؟ إنها لفكرة قديمة سبق أن راودت أحلام البشر منذ أيام الإمبراطورية الرومانية.. لكن أحداً لم يفعل ذلك تهيباً من هذا الخضم المجهول، الذي لا تعرف له نهاية، كما يعج بالوحوش الهائلة الخطيرة التي تغرق كل من يتجرأ على اقتحام مستقرها في المحيط وتبتلعه.. وظل هذا الأمل نظرياً - في الفكر البشري - في انتظار من ينتصر له علمياً وتجريبياً، ويخرجها إلى الواقع والوجود.

آمن كولومبس أن هذا الطريق أسهل وأسرع - مع كل ما يقال عن مخاطره - ويمكن البدء به من جزر الكناري في



عانى السكان الأصليون من المغامرات الأوربية


من حضارة الإنكا

المحيط الأطلنطي، حتى يصلوا إلى سيبانجو (اليابان) والصين، وجزائر الهند والإنديز شرقاً.. وربما تم ذلك في أيام قلائل.. فبطليموس – عالم الإسكندرية – سبق أن حدد في كتابه – أهم الكتب الجغرافية في زمنه – رقماً تقريبياً لمحيط الكرة الأرضية.. وهذا الأمر يثير الأمل في الوصول سريعاً إلى الشرق عن طريق الغرب. وقال أرسطوطاليس – العالم الإغريقي – إنه بوسع الإنسان أن يعبر المحيط من إسبانيا إلى جزر الهند الإنديز، في غضون أيام قلائل.. وهو ما عارضه الفرغاني – العالم الجغرافي المسلم في القرن التاسع الميلادي - وحسب ما جاء في يوميات ابن كولومبس فإن أباه قد أخطأ في حساب مسافات الكرة الأرضية ودرجاتها، عما ذكره الفرغاني بأقل من الحقيقة. وعلى ضوء هذه الحسابات المغلوطة من قبل كولومبس فقد تصور أن رحلته في المحيط، إذا انطلق من جزر الكناري إلى سيبانجو (اليابان) لن تتجاوز ٢٤٠٠ ميل بحري[١٢] في حين أنها تبلغ ١٠٦٠٠ ميل في الحقيقة. ويعلل ابن كولومبس (واسمه كاسم عمه دييجو) هذا الخطأ من والده باعتماده أكثر على كتاب وخريطة وضعها باحث إيطالي اسمه توسكانيللي Paolo Toscanelli، الذي كان بدوره يعتمد أيضاً على تقديرات جغرافيي الإغريق، وملاحظات ماركو بولو الخاطئة، الذي استغرقت رحلاته في الصين عشرين عاماً.. وقد حددت خريطة توسكانيللي المسافة من لشبونة إلى هاناور في الصين بثلاثة آلاف ميل.

وكانت رحلات ماركوبولو قد أسالت لعاب كل من جاء بعده من المغامرين والتجار الأوربيين للسفر إلى الصين والهند، يحثهم ويعاضدهم في ذلك باباوات روما.

وكان كولومبس – بوصفه مسيحياً متديناً – كما جاء في كتاب ابنه، يعتقد أن كل المعارف المهمة للإنسان مدونة في الكتاب المقدس، الذي هو كلمة الله.. والآيات التي وردت فيه تشير ضمناً إلى وجود أرض غرب أوربا، إذ إن المحيط هو بحر مفتوح، وكل اليابسة: آسيا، وإفريقية، وأوربا، هي جزيرة واحدة تحيط بها مياه هذا البحر، مستشهداً ببعض آيات الكتاب المقدس مثل ما جاء في المزمور التاسع عشر: الآن ترتعد الجزائر يوم سقوطك، وتضطرب الجزائر التي في البحر لزوالك[١٣] ويملك من البحر، إلى البحر ومن النهر، إلى أقاصي الأرض[١٤] ونظرت الجزائر فخافت.. أطراف الأرض ارتعدت اقتربت وجاءت[١٥]. أما كيف جاء هذا التفسير لهذه الآيات فهو أمر يرجع إلى الكهنة الذين يصدقهم كولومبس.



كولمبس

كما نسب إلى إسترابون – العالم الجغرافي اليوناني – الذي عاش في أيام المسيح أن البحارة الذين عاصروه قاموا فعلاً بمحاولة لعبور المحيط إلا أنهم عادوا من دون أن يكملوا رحلتهم؛ لنفاد مؤونتهم.

زين كولومبس سفنه بالشعارات الصليبية.. كما زود سفنه بمدافع طرازي فالكونت، وومبارد

كذلك تأثر كولومبس بكتاب آخر هو كتاب صورة الأرض Imago Mundi، الذي وضعه بيير دايلي Pierre d.Ailly – وهو كاردينال مسيحي فرنسي، إذ جاء في الكتاب أن المحيط ليس عريضاً جداً، وأن المسافة بين مراكش وشاطئ الإنديز (شرق آسيا) يمكن عبورها في غضون أيام، إذا اعتدلت الريح[١٦].

ومما زاد في اشتعال الفكرة لدى كولومبس أيضاً ما أشار إليه توسكانيللي في كتابه، من أنه قد حصل على معلوماته مباشرة من كاثاي (الصين)، من مبعوث خاص للخان الأعظم كان أوفده إلى البابا أوجينوس الرابع.

كان ذلك يتفق تماماً مع أحلام كولومبس، فسارع بالكتابة إلى توسكانيللي يطلب منه نسخة من آرائه المدونة، وهو ما بين الخوف والأمل من ردة الفعل لدى توسكانيللي على طلبه

هذا.. غير أن توسكانيللي لم يخيب ظنه، فأرسل إليه كتاباً دوّن فيه آراءه بهذا الصدد مع خريطة توضيحية لهذه الآراء مشجعاً إياه، ومتمنياً له التوفيق في تحقيق هذا الغرض النبيل.

وربما تأثر كولومبس أيضاً بنبوءة توارثتها الأجيال الرومانية للمفكر سنيكا في أسطورته التي أسماها (ميديا) قائلاً: سيأتي زمان تنهار فيه القيود المضروبة حول الأوقيانوس (المحيط) ويزاح الستار عن أرض واسعة عندما ينجح بحار في اكتشاف عوالم جديدة، وحينئذ لن تبقى ثولا – وهو لفظ كان يطلق قديماً على القسم الشمالي الغربي من أوربا – خط النهاية أبداً.. وفي مذكرات ابن كولومبس ما يوحي بافتراض تأثر والده بهذه النبوءة.

كذلك لم يغب عن ذهن كولومبس ما كان يردده البرتغاليون من أن بعض العرب المسلمين قد قاموا برحلة لاستكشاف غياهب المحيط، وأنهم وصلوا إلى جزائر الأنتيل، وهي جزر أشار إليها توسكانيللي في خريطته.. وكانت تعد – حتى ذلك الوقت – جزائر خرافية مثل الجزر التي نسبت إلى القديس برندان في رحلته الأسطورية.

كانت تراود كولومبس آمال العثور على الفردوس الأرضي[١٧] وهو الجنة التي وضعها الله في الشرق[١٨]، وقد كان الاعتقاد سائداً بوجه عام إبان العصور الوسطى بأن التوابل والأحجار الكريمة تأتي من جنة عدن، تحملها إلى الدنيا أنهار تنبعث منها. وكان بعض الجغرافيين يحددون موقع هذه الجنة على خرائطهم بكتابة: هنا موضع الجنة، وكل اتصال بين الجنة والعالم محدد عن طريق هذه الأنهار الأربعة.

وعندما كان لويس التاسع – ملك فرنسا – يحاول غزو مصر في حملته التي انتهت بأسره في المنصورة كان الجغرافي الإنجليزي السير جون ماندفيل، الذي كتب تاريخ حياة لويس التاسع يؤكد للملك أن كل التوابل التي تعرض في السوق المصري تأتي من الفردوس الأرضي الكائن بالشرق البعيد.

هكذا كان كل ما قرأه وسمعه كولومبس وقوداً يؤجج

بورتريه لكولومبس



لم يغب عن ذهن كولومبس أن بعض العرب المسلمين قد قاموا برحلة لاستكشاف غياهب المحيط، وأنهم وصلوا إلى جزائر الأنتيل



دوافع دينية كانت وراء مغامرات البحث عن أراض جديدة

دائماً خياله وآماله وطموحاته، وتجعله يتحرق شوقاً إلى الوصول إلى الهند، عله يصيب من الذهب ما يكفل له نفقات تجريد حملة صليبية[١٩] يكون له الفضل فيها، وهو ما تؤكده المؤلفة سونيا هاو في كتابها «في طلب التوابل».

كولومبس وملوك أوربا.. إخفاقات متتالية

بدأ كولومبس الخطوات الأولى لتحقيق آماله بعرض الأمر على الملك جـون الثاني - ملك البرتغال - عام ١٤٨٤م قائلاً: إن مشروعه يختصر المسافة بين بلاده ومنابع الذهب والتوابل ونشر المسيحية بها..؛ ولأن الملك جون الثاني هو ابن أخت هنري الملاح، مشجع لاستمرار الاستكشاف بطول الساحل الإفريقي، فإنه لم يبتّ فيما عرضه كولومبس، وأحال الأمر إلى لجنة من ثلاثة أحدهم من رجال الكنيسة، والاثنان الآخران طبيبان يهوديان متنصران على معرفة بعلوم الفلك. وبعد مناقشة كولومبس رفعت اللجنة عام ١٤٨٥م تقريراً إلى الملك برفض المشروع؛ لكونه عبثاً لا طائل من ورائه.

وكان دوق البندقية أوغسطينو باربريجو (رئيس مجلس الثلاثة الحاكم)، خشي من أنه لو تحقق لكولومبس ما يسعى إليه، وهو اكتشاف طريق بحري غرباً إلى الشرق، فإن ذلك سوف يؤثر سلباً في دوقيته، التي كانت تحتل مركزاً ممتازاً في التجارة بين الشرق والغرب عن طريق البحر الأحمر ومصر والشام. فأوعز الدوق إلى سفيره في البرتغال بأن يفسد محاولة كولومبس.

كان عام ١٤٨٥م عام خيبة أمل وحزن لكولومبس، فقد رفض الملك جون الثاني طلبه، وتوفيت زوجته التي كانت سنداً له عند البلاط البرتغالي.. فاستقر أمره على الرحيل إلى إسبانيا لعرض مشروعه على الملك فرديناند الخامس، وزوجته الملكة إيزابيلا[٢٠].

وفي طريق عودته إلى إسبانيا عرج على قرية إسبانية اسمها لارابيدا، بها دير للرهبان الفرنسسكان، فلجأ إلى هذا الدير طالباً منح ابنه الصغير رعاية الدير حتى يتفرغ لشأنه، وهذا الطلب استجاب له الأب بيريز رئيس الدير، وكان على دراية بعلم الفلك، كما كان أبـا الاعتراف (أي القسيس الذي يتلقى اعتراف المذنبين والمخطئين) للملكة أيزابيلا سابقاً،

ومن ثم فله دلالة عليها.. وعندما تحادث معه كولومبس عن مشروعه تحمس له، ورأى أنه سوف تكون خسارة كبيرة لإسبانيا أن تضيع ثمار مثل هذا الكشف العظيم، إذا تم بنجاح فوعد كولومبس بمحادثة أيزابيلا في ذلك.

ومن ناحية أخرى قدمه إلى أحد أثرياء إسبانيا، ومن أصحاب السفن في قادس هو الكونت مادينا سيللي.. ومرة ثانية أخطأ كولومبس حين غالى في طلباته، فرأى الكونت أن مثل هذا المشروع يستلزم أولاً موافقة الملكة إيزابيلا وزوجها الملك فرديناند؛ ليضعاه تحت رعايتهما، وهذا الأمر تسبب في ضياع سنوات أخرى أمام كولومبس[٢١].

ومن عام ١٤٨٤م حتى عام ١٤٩١م، كانت الأحداث تتوالى في كل من إسبانيا والبرتغال.. فهما متفقتان ضد الإسلام وملاحقته مع إحياء العصبية الصليبية مرة أخرى.. ومتفقتان على فكرة نشر المسيحية.. لكنهما متنافستان في أهدافهما التوسعية الاستعمارية والتجارية. وكان كولومبس يدرك ذلك فكانت خطوات تقاربه مع كل منهما تدور في أطار المصلحة الخاصة.. له أولاً.. ولأي من الطرفين بعد ذلك في ضوء مصالح كل منهما.

كان الملك والملكة مشغولين في هذه الأوقات بحرب غرناطة، وجمع المساعدات لخوض الحرب، بينما كولومبس يتابعهما في محاولة للقائهما، لكن ضيق ذات اليد لم يكن يساعده على اللحاق بهما حتى استقر بهما المقام في قرطبة

وصل كولومبس إلى جزر البهاما فظن أول وهلة أنه وصل إلى الهند فسماهم باسم الهنود

وهناك تقابل كولومبس مع عدد من مواطنيه الجنويين الذين احتضنوه إلى حد أن ارتبط بإحدى بناتهم (من دون زواج رسمي) حتى لا يكون الزواج عائقاً يحول دون المضي في محاولاته وتحقيق طموحه.. كما ساعدته أسرة صديقته على الاستقرار إلى حين مقابلة العاهلين الإسبانيين حتى تمكن أخيراً من مقابلتهما عام ١٤٨٦م، وعرض مشروعه وأفكاره التي لم يرحب بها فرديناند أول وهلة، كما أشارت أيزابيلا إلى أنه لا يمكن عمل شيء إلا بعد انقضاء الحرب مع المسلمين حول غرناطة.. ومع ذلك وبتوصية من الأب بيريز رئيس دير لارابيدا أمرت بتشكيل لجنة برئاسة تلافيرا أسقف فيلا لدراسة الأمر، ومناقشة كولومبس. وكان سفير البندقية قد نجح بواسطة عملائه في قرطبة من سرقة كتاب وخريطة توسكانيللي، اللتين كانتا في حوزة كولومبس، وهذا ما أضعف موقفه وهو يعرض أفكاره التي تعتمد كثيراً على ما جاء فيهما، فضلاً عن وجود اتجاه مسبق لدى اللجنة - لاسيما من قبل رئيسها تالافيرا - لرفض أفكاره، منتقدة الطلبات المغالى فيها من قبل كولومبس، فضلاً عن العودة إلى إنكار فكرة كروية الأرض التي لم تثبت عملياً حتى الآن.. وقد استغرق الأمر أربع سنوات حتى وضعت اللجنة قرارها بالرفض مشيرة إلى أن ما يقترحه كولومبس عبث وغير عملي.

عاد كولومبس - إزاء ذلك - فكتب إلى ملك البرتغال عام ١٤٨٨م بأن يعطيه فرصة ثانية لشرح أفكاره.. فعل ذلك وهو لا يأمل كثيراً في تلقي رد من الملك.. لكن لدهشته وصله رد منه يدعوه إلى زيارته.. أما سر هذا التغير المفاجئ فهو أن الملك جون الثاني كان قد عهد إلى التاجر الرحالة بيرير دي كوفيلان بأن يقوم بمحاولة جديدة للبحث عن أقصر الطرق التي توصل إلى الهند، مع تجنب المرور بجنوة أو البندقية، فقام دي كوفيلان ومغامر آخر معه يدعى بافيا Pavia بالإبحار من لشبونة رأساً إلى الإسكندرية، ومنها إلى سيناء والبحر الأحمر، ثم إلى عدن، وهناك افترق المغامران

حيث اتجه بافيا إلى الحبشة بحثاً عن برستر جون ثم اختفت أخباره.. في حين واصل دي كوفيلان السفر إلى الهند من عدن، حيث وصلها وتجول في أقاليمها الساحلية ثم عاد إلى عدن، ومنها إلى لشبونة بعد ثلاث سنوات، وقدم تقريراً بشأن رحلته والمشاق والمزايا التي تضمنتها، غير أن هذا الطريق لم يرض الملك جون الثاني تماماً؛ لمروره أيضاً عبر مصر وكأنه لم يفعل شيئاً. كذلك أخفق اثنان من الربابنة البرتغاليين الذين وافق الملك على قيامهم باكتشاف جزر الأنتيل في المحيط الأطلنطي، فضلاً عن أن بارتلميو دياز Partelomio Diaz قائد الحملة الاستكشافية التي أرسلت للدوران حول إفريقية من غرب الساحل الإفريقي إلى جنوبه، ثم منه إلى الهند.. كانت قد اختفت أخباره أيضاً، وظن الملك أنه فقد بعثته إلى الأبد. لذلك كان ترحيب الملك بدعوة كولومبس إلى زيارته فأسرع كولومبس إلى البرتغال وقد تجددت آماله.. إلا أن سوء حظه أن عاد بارتلميو دياز من رحلته أخيراً في الوقت نفسه، وقدم تقريراً يشير فيه إلى نجاح مهمته، وأنه قد وجد أخيراً الطريق إلى الهند، وإن لم يستطع أن يكمل رحلته للعواصف الشديدة التي واجهته في جنوب إفريقية، وبدلاً من أن يسمي هذه المنطقة رأس الرجاء العاصف، أسماها رأس الرجاء الصالح، تيمناً لرحلة قادمة، فضلاً عن أن المضي إلى الهند كان يستلزم استعدادات أخرى لم تتوافر له في ذلك الوقت حتى جاء فاسكودي جاما في سنوات لاحقة، وأتم ما بدأ به بارتلميو دياز.

كان هذا الكشف ضربة قاصمة لمشروع كولومبس، إذ إنه قلل من أهميته، فعاد إلى إسبانيا ليستكمل حواره مع أعضاء لجنة تالافيرا المماطلة، ثم رأى أن يقدم على خطوة سوف تعزز مكانته عند فرديناند وأيزابيلا إذا ما عرفا عنه تطوعه في القوات المقاتلة والمحاصرة لغرناطة؛ ليضفي على نفسه هالة من الصدق والإخلاص للعاهلين الإسبانيين، اللذين لا يشغلهما شيء أكثر إلحاحاً من حصار غرناطة، وهو أمر أتاح لكولومبس وقتاً كافياً للاشتراك في إطلاق النار على الأعداء[٢٢].

فكرة القفز من جزر الأزور، أو الكناري، إلى غياهب المحيط غرباً متجهاً إلى الشرق حلم ظل يداعب خيال كولومبس

ومع تكرار رفض لجنة تالافيرا أفكار كولومبس وشروطه لاقتناعها بأنه حتى بافتراض إمكان الإبحار غرباً للوصول إلى الشرق فلن تستطيع أي سفينة أن تتم هذا العمل مع كل المخاطر التي تعوقه، سواء من سعة المحيط أو وحوشه الكامنة في مياهه، بما يحقق خسارة مالية للعرش، إذا تكفل بتجهيز ما يطلبه كولومبس من سفن، وخصوصاً في هذا الوقت الذي كانت فيه كل ميزانية الدولة موجهة إلى الحرب.. يضاف إلى ذلك أنه من غير المعقول أن يكون الله قد أخفى عن عباده أي أراض ثمينة غير مأهولة بالسكان طوال القرون السابقة[٢٣].

وفي عام ١٤٩١م تمكن كولومبس وهو لا يزال مشاركاً في القوات الإسبانية المحاصرة غرناطة من مقابلة الملكة يوم عيد الميلاد، إذ رجاها أن تشمله بعطفها، وتساعده في تنفيذ مشروعه الذي يحلم به وهو يبسط أمامها كل ما يمكن من إغراءات عن الثروات المستقبلية، ونشر دين المسيح - الذي يحاربون من أجله الآن - في تلك البلاد البعيدة وضمها، أو ضم ما يمكن منها إلى ممتلكات إسبانيا وراء البحار. ومع انشغال أيزابيلا واهتمامها بالحصار حول غرناطة فقد بدا أنها أصبحت أميل إلى معونته، فأمرت بتشكيل لجنة أخرى لمناقشة كولومبس. ولما بدا للجنة ميل الملكة إلى تبني أفكار كولومبس فقد أوصت بقبولها على أساس إمكان البدء بتنفيذها بعد الانتهاء من الحرب مع المسلمين وسقوط غرناطة. وحين سألت الملكة أعضاء اللجنة لماذا يوافقون هم هذه المرة على الرغم

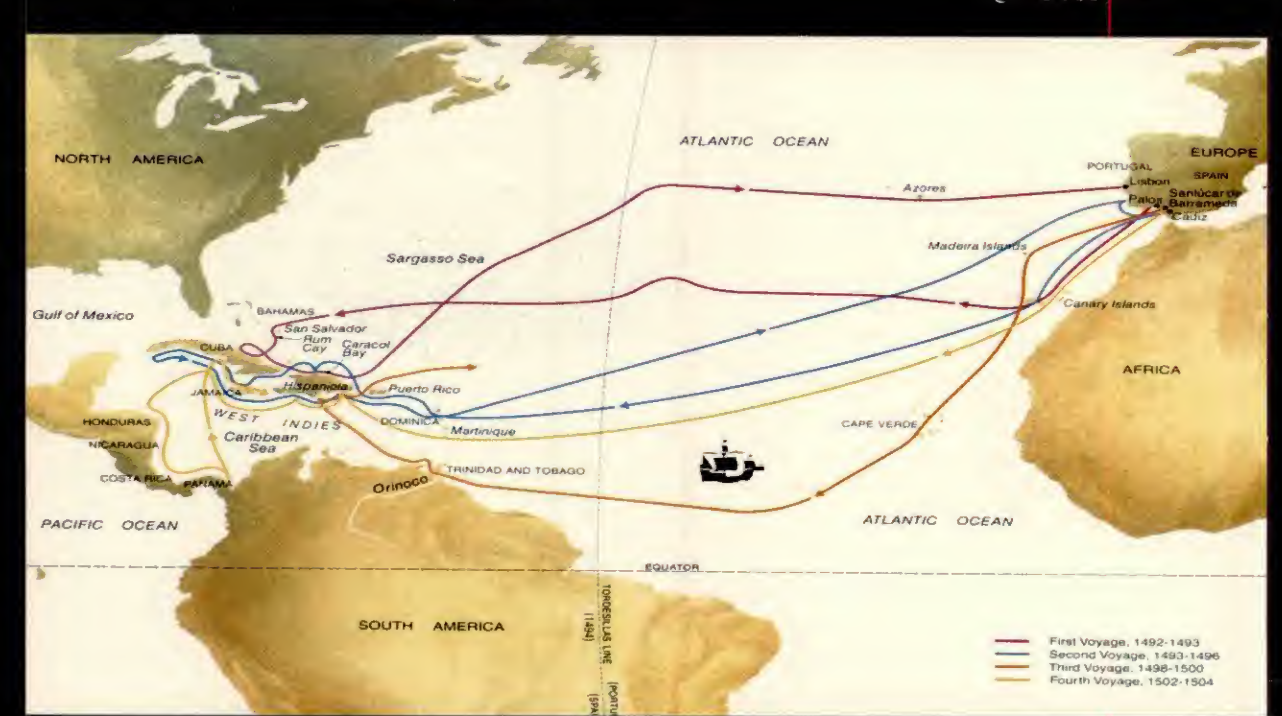
من رفض اللجنة السابقة.. لم يكن من الصعب على أعضاء اللجنة أن يجدوا رداً مقنعاً، لا سيما في ظروف الحاجة الماسة إلى الأموال الضرورية فيما بعد الحرب، حيث ستكون خزانة الدولة خاوية وهذا قد يسد حاجة الخزانة إذا نجح كولومبس في مشروعه وعاد بشيء من خيرات هذه البلاد البعيدة.

الحلم من جديد.. بين الإخفاق والانتصار

حلت ساعة الكارثة في غرناطة، وأعلن عبدالله محمد الملقب بالصغير الكف عن الدفاع عن غرناطة، واستعداده لتسليم عاصمته إلى خصمه فرديناند.. كان ذلك في الخامس والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٤٩١م.. وفي الثاني من شهر يناير عام ١٤٩٢م (٢٠ ربيع الأول سنة ٨٩٧ هـ) سلم أبو عبدالله مفاتيح غرناطة لفرديناند وأيزابيللا، وشاهد كولومبس هذه النهاية المأساوية لغرناطة، وبات يترقب من جديد الحصول على الموافقة النهائية من الملك والملكة.. غير أنه صدم برفضهما – لا من حيث الفكرة – وإنما لشروطه



خريطة العالم لبطلميوس



رحلات كولومبس الأربع

التعسفية التي ما زال يصر عليها.

كانت ضربة قاصمة أخرى لأحلامه. لكنه ومن قبيل الحرص والتحوط كان – حتى قبل سقوط غرناطة – قد كلف بارتلميو (زوج أخته) بأن يقوم بترويج مشروعه لدى جهات أوربية أخرى.. وبالفعل رحل بارتلميو إلى إنجلترا حيث عرض المشروع على هنري السابع ملك الإنجليز. لكن الملك لم يقتنع بالفكرة فطلب كولومبس من زوج أخته أن يواصل مساعيه في فرنسا. وفي فرنسا تقابل بارتلميو – مصادفة – مع آن دي بيجو Anne de Beaujeu – شقيقة الملك شارل الثامن، والوصية على العرش – التي عرض عليها الفكرة فأعجبت بها. وحاولت مساعدته لدى شقيقها. لكن شارل الثامن لم يقتنع.

صدم كولومبس مرة أخرى لهذه الإخفاقات المتتالية.. فقام بجمع كتبه وخرائطه معتزماً السفر إلى فرنسا للوقوف مع زوج أخته في محاولة جديدة لإقناع شارل الثامن.. غير أنه حدث تحول في سير الأحداث.. كان بداية لما يمكن أن يحقق له أهدافه وآماله.

ذلك أن لويس دي سنتا نجيل – رئيس خزانة الملكة أيزابيلا ومستشار ولاية أراجون في الوقت نفسه – تقدم بتقرير إلى الملكة. شارحاً فيه أن تكلفة تجهيز سفينتين لن يضير الخزانة كثيراً، وأنه كفيل بتدبير ذلك. أما من ناحية طلبات كولومبس المغالي فيها فهذه أمور سوف تحسمها النتيجة التي سوف يصل إليها كولومبس نفسه. فإذا نجح فإن هذه المطالب ستكون شيئاً تافهاً بالمقارنة إلى النتائج المرجوة.. أما إذا هلك كولومبس ومن معه من بحارة فيكون في ذلك نهاية التفكير في سلوك هذا الطريق. والعودة إلى الاهتمام بمثل ما يقوم به البرتغاليون في ذلك الوقت.

ولأن التقرير كان واضحاً ومغرياً فقد قبلته الملكة.. وعندما علمت أن كولومبس في طريقه إلى فرنسا سارعت إلى إرسال من يلحق به. ويدعوه إلى العودة إلى إسبانيا.

وفي أبريل عام ١٤٩٢م تم توقيع عقد بين كولومبس والملك والملكة الإسبانيين يفيد بقبولهما كل شروطه. وأنهما سيتحملان نفقات سفينتين بكل تجهيزاتهما لدرجة أن الملكة رهنت حليها وجواهرها وزوداه برسائل إلى إمبراطور الصين العظيم. ورسائل أخرى لا تحوي أسماء معينة. وله أن يوجهها لمن يشاء من ملوك تلك البلاد البعيدة وأمرائها تعرض صداقة العاهلين الإسبانيين وتحالفهما معهم. كما قامت أيزابيلا بتعيين دييجو الصغير ابن كولومبس وصيفاً لابنها الطفل دون جوان. وأعلنت عن مكافأة قدرها معاش سنوي ب ١٠ آلاف مارا فيداس (العملة الإسبانية في ذلك الوقت) لأول رجل يرى الأرض الجديدة..

هذا الموقف الفارق.. ولأهميته.. كان مثار جدل بين المؤرخين الذين تناولوا حياة كولومبس. وكان ممن تناول هذه التساؤلات بالتحليل مجلة دير شبيجل الألمانية. إذ انتهت إلى نفي ما دأبت المصادر على ترديده من أن الملكة رهنت جواهرها وحليها.. وجاء في دراسة هذه المجلة أن نفقات تجهيز السفينتين قدرت بمليوني مارا فيداس. وعرض لويس دي سنتانجيل تمويل الجزء الأكبر منها بنفسه. وهو مبلغ ١٫١٤ مليون مارا فيداس. كما عرض تاجر عبيد إيطالي اسمه جيانو توبيرا ردي المساهمة بنصف مليون. وبيراردي هو الممثل المقيم لأسرة مديتشي الإيطالية. التي كانت تمتلك شبكة تجارية دولية واسعة.. ومن أهم ما يقوم به بيراردي من أعمال جلب العبيد وشحنهم إلى إشبيلية وفالينسيا[٢٤].

وبالعودة إلى آثار سقوط غرناطة نجد – تاريخياً –

حين جاء كولومبس ليقبل يدي فرديناند وإيزابيلا وقفا له ليحيياه، كما لو كان سيداً عظيماً وأجلساه بجوارهما

أنه في الوقت الذي كانت السفن تغص بالمسلمين المطرودين، أو الهاربين من الأندلس، كانت سفن أخرى تحمل كل اليهود الذين كانوا مقيمين في إسبانيا، ورفضوا اعتناق المسيحية مطرودين مثلهم مثل المسلمين.

فإذا عرفنا أن لويس دي سنتانجيل كان يهودياً في أعماقه قبل أن يتظاهر باعتناقه المسيحية، ومع رؤيته آلاف اليهود وهم يعذبون أو يطردون فربما وجد دي سنتانجيل فيما يعرضه كولومبس أملاً في إيجاد أرض جديدة يلجأ إليها هؤلاء المطرودين من اليهود.

وتقول الباحثة كونسيلا فاريللا (من فريق البحث): إن الهدف من الرحلات فيما قدّر بيراردي - فضلاً عن رؤية دي سنتانجيل الخاصة - هو الحصول على الذهب والعبيد.. وكانت خطتهما (بيراردي ودي سنتانجيل) تمويل ثلاث رحلات في العام بالتبادل إذا ما نجح كولومبس في رحلته الأولى.

وإضافة إلى ما أثارته مجلة دير شبيجل الألمانية، نجد مجلة عالمية أخرى هي مجلة تايم Time الأمريكية[٢٥] تضيف جديداً إلى هذه الأسباب، إذ تشير إلى كتاب يحمل عنوان البعثة السرية لكريستوفر كولومبس The secret Mission of Christopher Columbus، لمؤلفه سيمون فيزنتال Simon Wiesenthal، الذي كان يعمل رئيساً لمركز وثائق فيينا.. وجاء في الكتاب أن كولومبس نفسه كان يهودياً أو - على الأقل - من سلالة عائلة يهودية تركت دينها.. ويقول: إن المسيحيين (الذين ولدوا يهوداً)، والذين مولوا رحلة كولومبس كان لديهم آمال أكثر من أن تعود الرحلة بأموال إلى إسبانيا، وإنما اكتشاف القبائل الإسرائيلية العشر المفقودة، الذين ربما هاجروا إلى مكان في أقاصي الأرض، وكذلك اكتشاف أرض جديدة يمكن لليهود أن يهاجروا إليها بدلاً من تحولهم إلى المسيحية.

ولعل في ذلك تفسيراً لأهمية اصطحاب كولومبس في رحلته مترجماً يعرف اللغة العبرية - إلى جانب العربية أيضاً - ويشير ميشيل - لوكن أحد الباحثين في تاريخ كولومبس - إلى أن كولومبس كان يعتقد في أسطورة بابل القديمة، وكان يظن أنه سوف يقابل أقواماً مجهولين يتكلمون بالضرورة بلغة تنتمي إلى العبرية، كان يتكلم بها أهل الأرض قبل إقامة برج بابل المشهور.. أو ربما وصل إلى الفردوس المفقود الذي جاء ذكره في العهد القديم، أو أن أهالي اليابان والهند والصين كانوا يتكلمون أو يعرفون العربية، وذلك للصلات المعروفة بين المواني العربية وهذه البلاد، أو أن يكون هناك بقايا من محاولات الأندلسيين الأولى لسبر أغوار المحيط.. ويضيف أن كولومبس في يومياته يشير إلى أن مترجمه أخفق في محاولة التحدث مع الأهالي بأي لغة[٢٦]، كذلك قد يفسر ما ذهب إليه سيمون فيزنتال من نزعة كولومبس اليهودية ما دأبت بعض المصادر التاريخية إلى الإشارة إليه، من أن دي سنتانجيل كان صديقاً لكولومبس، وأن عرض دي سنتانجيل لم يأت مصادفة أو فجأة ليحول مجرى الأحداث. ولكن ما يزيد الأمر غموضاً هو أن كولومبس قبل قيامه برحلته الثانية كان قد اقترح - حسب بعض المصادر - أن يبعد عن مستعمراته الجديدة اليهود والأجانب (ويعني بهم المسلمين والعرب والأجناس الأوربية الأخرى)، مع إرسال عدد كاف من الكهنة المسيحيين لهداية أهلها[٢٧].

هذا إلى جانب حرصه على رفع أعلام وشارات فرسان مالطة (الإسبتارية) على سفنه بما يعني صبغ رحلاته بصبغة كاثوليكية متعصبة.. هل كان ذلك مجرد تظاهر مسيحي أمام ملك وملكة إسبانيا؟ أم نابعاً من إيمان

بـر الملك والملكة بما وعدا به من مكافأة لكولومبس تحقيقاً لشروطه فمنحاه لقب دوق ولقب أمير البحر المحيط

مسيحي كما يصفه دييجو بن كولومبس فيما كتبه عن أبيه؟

يضاف إلى ذلك – وفيما يتعلق بالتمويل – فقد حرص كولومبس على أن يفتح أمامه أبواباً أخرى تؤمن له الاستمرار في مشروعه، ووجد – بالاتفاق مع دي سنتانجيل – وسيلة أخرى تؤدي إلى تحمل نفقات السفينتين كلياً أو جزئياً، وذلك بفرض ضريبة إضافية على أهالي ميناء بالوس الذي قرر كولومبس أن يكون بداية رحلته.

ذلك أن أهالي بالوس كانوا قد امتنعوا عن دفع الضرائب المستحقة عليهم للعاهلين الإسبانيين. وقد حرص كولومبس على أن تكون بالوس هي بداية الرحلة؛ لأنها مرشحة للقديس جريس - شفيع مدينة جنوة مسقط رأس كولومبس - حسب ما ذكر دييجو بن كولومبس في كتاباته، أو أن وجود الأب بيريز - رئيس دير لارابيدا - وهو المقرب إلى أيزابيلا، كان هو السبب لكي يكون قريباً منه، وشاهداً عليه، ومباركاً له. يضاف إلى ذلك أن كولومبس كان قد عقد صداقة مع إحدى الأسر المهتمة بالتجارة البحرية في بالوس، وهي أسرة بنزون التي يرأسها شقيقان، أكبرهما هو مارتين ألو نسو بنزون، وهو بحار قدير عرض على كولومبس الاشتراك معه في مشروعه عندما سمع بقبول الملكة شروط كولومبس، ولا سيما المكافأة المغرية التي وعدت بها أيزابيلا لأول من يطأ هذه الأرض البعيدة، وربما أتاحت له هذه المشاركة الفرصة ليكون هو أول من تطأ قدمه هذه الأرض.. وقد رحّب كولومبس بمشاركة مارتين ألو نسو بنزون، الذي قدّم إليه أيضاً أخاه فنسنت وعدداً من البحارة العاملين معه، كما تعهد بتجهيز سفينة ثالثة اسمها لانينيا La Nina (أي: البنت الصغيرة)، تنضم إلى السفينتين الرئيستين اللتين كان كولومبس قد بدأ بتجهيزهما.

وأول ما فعله كولومبس بسفنه الثلاث، هو أن صبغها بصبغة دينية فزينها بالشعارات الصليبية.. كما زود سفنه بعدة مدافع صغيرة من طراز فالكونت Falconets، ومدافع أكبر من طراز لومبارد Lombard، وإن كانت السفن لا تصلح أن تكون سفناً حربية بالمعنى المعروف، بينما تسلح الرجال بالقسي والسهام والمسدسات.. ولم يكن معظمهم من الجند، أو الضباط البحريين، وإنما مجرد بحارة عاديين، وبعض السجناء القدامى، الذين أفرج عنهم لقاء اشتراكهم في هذه المغامرة، الذين تم جمعهم من إشبيلية وقرطبة وبالوس، ولم يزد عددهم على أي حال على مئة رجل.. كان كل منهم يشعر أنها الرحلة الأخيرة في حياته. وإضافة إلى المترجم الذي يعرف العبرية والعربية واليونانية، فقد ضم كولومبس إلى بحارته اثنين آخرين من ملاحي الخليج الغيني لهم معرفة بلغة ساحل غينيا على أمل التفاهم مع من يمكن أن يلاقيهم من السكان، ويتكلمون هذه اللغة؛ وذلك لسابق علمه أن ملكاً من ملوك السنغال هو الإمبراطور بكاري الثاني سبق له أن قام برحلة كبيرة تجاه الغرب عام ١٣١٢م وإن كان لم يعد منها، فإما أن يكون قد لقي هو ورجاله حتفهم، وإما أنهم اتجهوا إلى الأرض الجديدة وعمرها من أعقبهم[٢٨].

كان التيانو في جزر البهاما يعبدون روحاً عظمى تعيش في السماء وظنوا أن كولومبس ورجاله جاؤوا منها

رحلات كولومبس الأربع.. ماله وما عليه

الرحلة الأولى:

هكذا انطلقت السفن الثلاث في ٣ أغسطس عام ١٤٩٢م جنوباً بغرب من ميناء بالوس متجهة إلى جزر الكناري لكي تأخذ منها المزيد من المؤونة، وكان كولومبس



كولومبس يعرض على الملك فرديناند والملكة إيزابيلا تفاصيل رحلاته

يعتقد - طبقاً لحساباته - أن سيبانجو (اليابان) تقع بخط مستقيم غرب هذه الجزر وكان يأمل - إذا ما ساعدت الريح - بالوصول إليها في عدة أيام.

ولكن بعد سبعة أيام من مغادرة جزر الكناري لاحظ كولومبس أن بوصلة السفينة تتحرك بشكل غريب، فبدلاً من أن تتجه شطر النجم الشمالي انحرفت قليلاً شطر الشمال الغربي، ثم راحت تنحرف قليلاً يوماً بعد يوم إلى أن أصبح هذا الانحراف واضحاً.. ولاحظه بعض البحارة.. وهذا ما أثار الخوف في نفوس الجميع. وكان على كولومبس أن يهدئ من مخاوفهم فعزا ذلك إلى تحرك النجم الشمالي عن موضعه بين حين وآخر.. وصدق البحارة هذه الفرية الفلكية. أما السبب في ذلك (وهو ما لم يدركه كولومبس في ذلك الوقت، هو أن الشمال المغناطيسي الذي تتجه إليه إبرة البوصلة ليس هو الشمال الحقيقي، ويختلف اتجاهها باختلاف الأماكن

على سطح الأرض).. كما أن الرياح عاكست السفينة لانينيا بأشرعتها الثلاثة، وكانت مطوية إلى الخلف لتوجد فراغاً في المقدمة للشراع الأساسي.. وكان لابد من إعادة ترتيب الأشرعة بحيث يصبح الشراع الرئيس في الوسط بدلاً من المقدمة، كذلك كان لا بد من تغيير الدفة إلى دفة حديدية بدلا من الدفة الخشبية، واستبدال الأشرعة الثلاثه بأشرعة مربعة أسوة بزميلتيها، وهذا الأمر اضطرهم إلى البقاء شهراً كاملاً في جزر ماديرا لأجراء الإصلاحات اللازمة.. ثم عادت السفن إلى الإبحار من جديد في ١٠ سبتمبر عام ١٤٩٢م وكأن هذا التاريخ هو البدء الحقيقي للرحلة. وكان كولومبس يرسم خط سيره بواسطة أداتين مهمتين في ذلك الوقت: الأولى هي البوصلة المغناطيسية، والثانية هي ما عرف باسم خريطة بورتولان Portolan، وهي تتميز بتقسيم جغرافي وفلكي حسب المعلومات المتاحة، بخطوط متقاطعة من كل الجهات شمالاً، وجنوباً، وشرقاً، وغرباً، وبين كل خط وآخر مسافة تقديرية، وهذا الأمر كان – حسب المفروض

أحلام كثيرة راودت المغامرين



في هسبانيولا أنشأ كولومبس مستوطنة جديدة أسماها إيزابيللا، كما أنشأ بها أول كنيسة في أمريكا

– يساعد على التنقل من ميناء إلى آخر.. كما كان يتبع وسيلة ملاحية تعرف باسم Dead Reconing، أكثر من مراعاة موقع الشمس والنجوم. والـ Dead Reconing، تعني إيجاد موقع السفينة عن طريق حساب الاتجاه والمسافة التي تقطعها السفينة كل يوم.. وكل مساء كان كولومبس يدون الموقع الذي يصل إليه على الخريطة.

وعند تدوين يوميات الرحلة، وما اكتنفها من صعاب، كان كولومبس حريصاً على أن يخفي الحقيقة عن بحارته، حتى أقرب مساعديه حتى لا يمكنهم أن يقدروا مدى ابتعادهم عن ساحل إسبانيا .. والمصادر المتاحة لا تمدنا بموقف الأخوين بنزون وهما يتبعان خط سير كولومبس.

وفي ١٦ سبتمبر عام ١٤٩٢م مـر الأسطول بمياه تغص بألواح متآكلة مع بعض السرطانات البحرية الطافية، وهذا ما اطمأن معه الرجال إلى أن ذلك دليل على قرب الوصول إلى البر. والواقع أن كولومبس كان يعرف أنهم يبحرون في بحر سارا جوس (منطقة تعرف بهذا الاسم داخل المحيط)، من واقع خبرته الملاحية، فقرر الولوج إليه في بدء رحلته حتى ينعش أمل رجاله بتوهم كاذب.

وفي ٢٢ سبتمبر عام ١٤٩٢م صدرت صيحة من مارتين بنزون وهو على سفينته لابنتا تشير إلى أنه رأى الأرض في الجنوب الغربي.. فركع كولومبس بركبتيه شكراً لله، وأخذ رجاله يغنون فرحاً.. لكن في اليوم التالي تبين أن ما رآه مارتين

هو مجرد سلسلة من السحب المتكاثفة.

كان البحارة يقضون أوقاتهم بالغناء ولعب النرد، والمراهنة، وإلقاء النكات، وسرد القصص الشخصية، والتجارب التي مر بها كل منهم، وأحياناً يقفزون إلى الماء للاغتسال بينما آمالهم متعلقة باستمرار الريح الطيبة الهادئة فيصلون لله وللقديسين بين وقت وآخر.. ويرددون دائماً أغنية Salve Regina، التي تعيد ذكرى العذراء.

وفي ٧ أكتوبر عام ١٤٩٢م تم رصد أسراب كبيرة من الطيور المهاجرة تطير في اتجاه غير الذي يتبعه كولومبس ورأى أنها لابد تتجه إلى أرض ما فأمر بتغيير اتجاه سير السفن ومتابعة الطيور في اتجاهها.

مرت ثلاثة أيام من دون رؤية الأرض وبدأ القلق يستولي على البحارة الموجودين معه في سانتا ماريا فتجمعوا وطالبوه بالكف عن المضي في حماقاته والعودة إلى إسبانيا.. إلا أنه نجح في تهدئتهم بعد مجهود كبير، وموقف حازم مع رفض مطالبهم. ومن حسن حظه أنه بعد خمسة أيام وقبل أن ينفجر البحارة انفجاراً لا يمكنه السيطرة عليه، رأى المراقب في سفينة لابنتا ليلاً شبح بعض الصخور الناتئة في ضوء القمر.. لقد كانت الأرض.. أخيراً.. وأمر مارتين بنزون بإطلاق مدفع إشارة إلى وجود أنباء طيبة.. لكن كولومبس – مع فرحه الغامر – فضّل الانتظار حتى الفجر للهبوط إلى الأرض مع إشراقة ضـوء النهار.. لقد اطمأن إلى أنهم أخيراً وصلوا إلى الأرض.

ومع ضوء النهار نزل كولومبس إلى الشاطئ مع ثـلة من رجاله وهو يحملون أعلامهم وسهامهم ومسدساتهم، وركع كولومبس شكراً لله، ثم ثبّت راية على الشاطئ معلناً أن هذه الأرض من أملاك العاهلين الإسبانيين، بينما كانت هناك عيون متخفية تراقبه هو ورفاقه.. هي عيون السكان المحليين وهم لا يفهمون ماذا يحدث أمامهم.

كانت هذه الأرض تسمى أصلاً جواناهاني لكن كولومبس أطلق عليها اسم سان سلفادور San Salvador ومعناها المنقذ المقدس[٢٩].. وتعلق مجلة دير شبيجل الألمانية في بحثها عن كولومبس على هذا الموقف بقولها: إن كولومبس لم يجد فيه فرصة لتأكيد ولائه للعاهلين الإسبانيين فقط، وإنما كان يعبر عن رضاء داخلي لتمكنه من تحقيق آماله، وبداية الخطوة الأولى في حياته لكي يسمو بنفسه وأسرته إلى طبقة الأشراف والنبلاء، وأنه كان على حق في إصراره على فرض شروطه المغالى فيها.. فضلاً عما يعكسه هذا الموقف من نعرة صليبية تتواءم مع التيار المعاصر في إسبانيا والبرتغال في ذلك الوقت، وزيادة في نشاط تجارة العبيد بما يحقق مصالحه (عشرة في المئة من حصيلة الدخل التجاري)، ومصالح من وقف من ورائه يسانده ويشجعه من أمثال سنتانجيل.. وهو أمر يعكس أيضاً في الوقت نفسه طبيعة الخداع والاحتيال التي تميز بهما كولومبس.

وتدلل الجريدة على ذلك بما قاله كولومبس في يومياته عن سكان أول أرض يصل إليها من أنهم أناس طيبون ليس لديهم أسلحة وسريعو الخوف حتى إن واحداً من رجالنا كفيل بأن يدفع مائة منهم للهرب، لذلك فهم يصلحون لتلقي الأوامر والعمل بالزراعة وفي كل شيء، وهي عبارات ترجمت فيما بعد بما ساقه من أهل هذه البلاد لبيعهم عبيداً في إسبانيا.

لقد وصل كولومبس إلى الأرض التي نعرفها اليوم باسم جزر البهاما Bahamas Islands وحيث ظن أول وهلة أنه وصل إلى الهند فسماهم باسم الهنود؛ ذلك لأنه رآهم لا يشبهون الأفارقة السود.. أما هؤلاء السكان المحليون وهم من

عاد كولومبس إلى نافيداد، فلم يجد أحداً من رجاله على قيد الحياة، كما دمرت قلعتهم

قبائل تعرف باسم التيانو، فقد ظنوا أن هؤلاء الرجال الذين هبطوا إلى الشاطئ قد جاؤوا من السماء.. وبعد وقت – وقد خفت حدة خوفهم – بدؤوا يتحدثون بعضهم إلى بعض، وهم يهمهمون بلغتهم غير المفهومة. كان لقاء طيباً أول الأمر.. أنس إليه الأهالي.. وعاملهم هو ورجاله في جو ودي فاصطحبهم التيانو إلى قريتهم المكونة من أكواخ يبلغ عددها نحو الألف كوخ ويسكنها ما يقرب من الخمسة آلاف.

كان كل شيء في الجزيرة جديداً وغريباً على كولومبس، وكان رجاله أول من تمتع من الأوربيين بهذه النباتات الغريبة، التي رأوها مثل الذرة، والأناناس، وجذور الكاسافا، وهي جذور سامة لكن التيانو يعالجونها بسحقها أولاً، ثم غمرها بالماء عدة ساعات لتنقيتها من السم، ثم تجفيفها وطحنها وعمل دقيق منها، ومن الدقيق يصنعون الخبز. وحينما قدم لهم التيانو أطباقاً من السحالي والعناكب والديدان شكروهم على حسن ضيافتهم لكنهم اعتذروا عن تناولها.

ومما زاد في قناعة كولومبس أنه وصل إلى الهند أنه رأى التيانو يزرعون ويحصدون التشيلي Chilly، وهي الشطة الصغيرة الحارة واللاذعة التي عدّها نوعاً من التوابل التي تشتهر بها الهند.

كان التيانو يعبدون روحاً عظمى تعيش في السماء التي منها جاء كولومبس ورجاله حسب ما ظنوا.. وكانوا يعتقدون أنهم، على الأرض، محاطين بأرواح أخرى يسمونها زميس Zemis.. بعضها من الطبيعة وبعضها الآخر من أشباح الأسلاف. وبدلاً من ارتداء الملابس كان التيانو يدهنون أجسادهم بألوان مختلفة فيما عدا رقعة صغيرة تستر عوراتهم، وكانوا يثقبون آذانهم وأنوفهم بحلقات من الذهب، أو الأحجار الكريمة. كانت أكواخهم من الأعشاب الجافة وأوراق النخيل، وتمتد على قوائم خشبية طويلة تنتهي في قمتها بشكل كالقمع المقلوب. وفي كل كوخ كانوا حريصين على وضع تماثيل أو أيقونات تمثل الـ Zemis، حتى تكون حامية لهم. وكانت أهم سلعة مع كولومبس هي الأجراس النحاسية.. ولشد ما كانت رغبة التيانو استبدال الذهب بها الذي يعلقونه في أنوفهم. ولكن مع ذلك فقد بدا التيانو لا يملكون كثيراً من الذهب مما سبب نوعاً من الإحباط لدى كولومبس.

أخذ كولومبس يطوف بين الجزر مطلقاً اسماً إسبانياً على كل جزيرة يصل إليها، ويثبت راية على شاطئها دليل تملكها من قبل الإسبان.. وتكاثر وفود التيانو من هذه الجزر فكانوا يتبعون كولومبس في زوارقهم الصغيرة للفرجة على هؤلاء الهابطين من السماء، وقدموا لكولومبس عدداً من الطيور المتكلمة (الببغاوات)، وكرات من القطن، وعدداً من السهام والقسي. وعلم كولومبس منهم بوجود جزيرة كبيرة إلى الجنوب يسمونها كوبا أو كولا، وقدر كولومبس أنها يمكن أن تكون اليابان فأبحر تجاهها لكنه فوجئ بعدم وجود قصور من الذهب. ثم أخبره التيانو عن جزيرة أخرى إلى الشرق اسمها هاييتي غنية بالذهب فاتجه إليها آملاً أن يجد بها الذهب الذي يلهث وراءه، وحين وصل إليها أطلق عليها اسماً إسبانيا هو لا أسلا أسبانيولا La Isla Espanola – الجزيرة الإسبانية – التي أطلق عليها في مرحلة لاحقة اسم هسبانيولا Hispaniola، غير أنه لم يجد بها من الذهب ما كان يتوقعه، وإن كان قد أعجب بجمالها فقرر أن تكون هي قاعدته الرئيسة فيما بعد. وفي ٢١ نوفمبر عام ١٤٩٢م بينما كان الأسطول متجها إلى الجنوب بطول ساحل كوبا أبحرت

وجد بارتلميو دياز الطريق إلى الهند، وإن لم يستطع أن يكمل رحلته للعواصف الشديدة

السفينة لابنتا فجأة إلى الشرق.. كان مارتين بنزون قد تعب من كثرة أوامر كولومبس فقرر أن يكمل رحلات استكشافية خاصة به، وهذا ما أثار غضب كولومبس.

كان التيانو ينامون داخل أكواخهم وخارجها في خيام قطنية تربط بين شجرتين، أو عمودين بحيث تصبح معلقة وبعيدة عن الأرض اسمها هاماكا Hamaca، وقد أوحت هذه الخيام للبحارة في أوربا فيما بعد باتخاذ مثل هذه الأسرّة في السفن واحتفظوا بالاسم نفسه. وكان أكثر ما دهش له الإسبان حين رأوا التيانو في كوبا يشربون الدخان الصادر من احتراق بعض أوراق النباتات الجافة.. كانوا يدخنون الطباق بأفواههم، كما كانوا يدخنونه أيضاً من خلال أنبوبة من الغاب يسمونها توباكو Tobaco، وينفثون الدخان من أنوفهم.

وفي طريق العودة من كوبا اصطدمت سانتا ماريا بالصخور على شاطئ هسبانيولا؛ بسبب إهمال البحار المسؤول عن الدفة، وأخفقت كل الجهود في تعويم السفينة حيث غمرتها المياه من خلال الثقوب الكبيرة التي أحدثها الاصطدام، فقرر كولومبس أن يتخلى عنها بعد أن أخذوا منها كل ما يمكن أن يستفيدوا منه، وانتقلوا بما أخذوه من سانتا ماريا إلى أصغر السفن الثلاث وهي السفينة لا نينيا.

بعد التخلي عن سانتا ماريا إلى لانينيا أدرك كولومبس أنه لن يستطيع أن يحقق بها المزيد من الإبحار بين هذه الجزر، كما أنها لا تسع كل رجال السفينتين في طريق العودة، فقرر إعادة فك سانتا ماريا واستخدام أخشابها في بناء أول حصن أوربي على الجزيرة؛ لكي يكون مستقراً مبدئياً لبعض رجاله على أن يعود إليهم في رحلة قادمة.. وسمى هذا الحصن لا نافيداد La Navidad وهو الاسم الإسباني لعيد الكريسماس المسيحي، إذ بدئ ببناء هذا الحصن يوم عيد الميلاد. وكان كولومبس يتوقع أن يرفض رجاله البقاء بعيداً عن بلادهم في هذه الأرض المجهولة، لكن لدهشته رأى الرجال يرحبون بذلك.. ذلك أنهم كانوا يأملون في أن يفوزوا هم أيضاً بما يعثرون عليه من ذهب.

وكان كولومبس حريصاً على أن يرحل ويعود إلى إسبانيا حتى لا يسبقه مارتين بنزون ويدعي سبق استكشافه لهذه الأراضي، وبذلك يسرق ما حققه كولومبس نفسه.

وفي طريق العودة أفاد التيانو عن شعب يسمى الكاريبي Caribs، كانوا دائمي الإغارة على أراضيهم فيأسرون منهم، ويقتلون، ويستولون على غذائهم، فطمأنهم كولومبس واعداً إياهم بأنهم لن يخافوا شيئاً بعد الآن، وأخبرهم أنه سوف يحميهم من الكاريب، وقد ترك معهم حامية إسبانية لهذا الغرض.. وحتى يطمئنوا فإنه قام بعمل استعراض لمدى قوته

اتخذ كولومبس من سكان سان سلفادور عبيداً باعهم في إسبانيا

تماثيل المغامرين في لشبونة

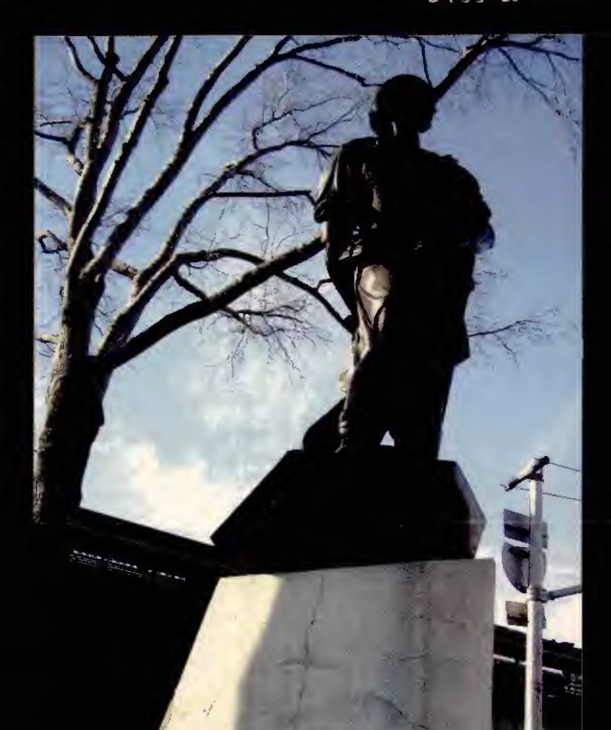


بأن أطلق عدة طلقات من مدفعه وهو يودعهم.

وفي أثناء رحلة العودة بعد عام كامل من الغياب عن إسبانيا قوبل بعاصفة بحرية هائلة حتى اعتقد كولومبس بأن لا نينيا في طريقها إلى الغرق، وكان أشد ما يقلقه أنه لو مات فإن مارتين بنزون وقد فر بالسفينة لا بنتا سوف يسرق مجده الذي حققه، وسوف ينسى العالم أولئك الرجال الذين تركهم في هسبانيولا، لذلك دوّن مذكرات خاصة برحلته وضعها في برميل صغير وألقاها في مياه المحيط حتى إذا مات، وغرق مع لانينيا فربما يعثر إنسان على هذا البرميل وتعرف الحقيقة.

وصلت أنباء الإنجازات التي حققها كولومبس إلى لشبونة عاصمة البرتغال، حيث كانت أقرب ميناء يمكن أن يلجأ إليه بعد ما تعرضت له لا نينيا من مضار.. وكان كولومبس قد بعث برسالة إلى ملك البرتغال يطلب منه السماح لهم بالرسو في لشبونة، ولم يمانع الملك في ذلك؛ لكي يكون له على الأقل شرف فضل استقبال هذا الجنوي الذي حقق ما لم يحققه غيره، بل أعد له حفل استقبال قبله كولومبس على مضض – مع فرحته العارمة بالعودة – وذلك خشية أن يفسر

أحد تماثيل كولومبس



لويس دي سنتانجيل كان يهودياً في أعماقه، وكان يسعى إلى إيجاد أرض جديدة لليهود

الأمر بطريق آخر لدى العاهلين الإسبانيين.

لقد أثار وصوله في أبريل عام ١٤٩٣م كثيراً من المشاعر، وفي أثناء سيره في الشوارع يهب كل فرد ليتطلع الى الرجل الذي عثر على طريق في المحيط إلى الإنديز وأطلقوا عليه لقب البطل. أما مارتين بنزون فقد وصل بعده بخمسة أيام، وبذلك لم يحقق غرضه من الادعاء بسبقه كشف الأرض الجديدة.

وبعد لشبونة سار كولومبس إلى برشلونة في إسبانيا، حيث كان فرديناند وأيزابيلا في انتظاره محاطين برجال بلاطهما، وحينما جاء كولومبس ليقبل يديهما وقفا له ليحيياه، كما لو كان سيداً عظيماً، وأجلساه على كرسي بجوارهما.. ثم انطلق الهنود الذين اصطحبهم معه يرددون أغنية العذراء ماري التي لقنها لهم وأدوها كما لو كانوا يعرفون الإسبانية.. ثم قدم ما عاد به من هدايا للملك والملكة من ذهب، وفلفل حار، وغيره مما اكتشفه كولومبس في رحلته قائلاً: إنها مجرد نزر يسير مما هو موجود في الجزر المكتشفة. وإزاء ذلك بر الملك والملكة بما وعدا به من مكافأة لكولومبس تحقيقاً لشروطه فمنحاه لقب دوق، وهو من ألقاب النبالة، ثم لقب أمير البحر المحيط، ونائب الملك، وحاكم الجزر.. وبذا أصبح له الحق في حكم هسبانيولا، وأن يكون له نصيب من الثروة لنفسه.. كما سمح بأن يكون له شارة Coat of Arms خاصة به منقوشة برسم أسد ملكي، وقلعة إسبانية، والجزر المتناثرة التي اكتشفها، وخمسة هلب ذهبية ترمز لسلطته.

غير أنه من الأمور التي ما زالت مغلقة أمام الباحثين، هو ما لوحظ من أن كولومبس قد بدأ يوقع كل وثائقه بمجموعة غريبة من الحروف الرمزية.. الأسطر الثلاثة الأولى لم يدرك أحد حتى الآن مغزاها أو ما ترمز إليه.. أما السطر الرابع فيحمل رموزاً من الحروف اللاتينية والإغريقية، رأى بعضهم أنها تحمل معنى حامل المسيح Christ Bearer، بما يوحي بأن كولومبس قد بدأ يشعر بأنه رسول المسيحية إلى هذه البلاد، إرضاء لنزعة زعامية بدأت تسيطر على تصرفاته فيما بعد، وهو ما بدا جليّا عندما أصبح حاكماً لهذه البلاد التي وصل إليها فيما بعد[٢٠].

ولكي يضفي الملك والملكة – هما أيضاً – على الأمر صبغة دينية أكثر، ووضعاً شرعياً لملكيتهم لما يتم اكتشافه من أراض، فقد سعيا إلى الحصول على مباركة البابا إسكندر السادس الذي وافق على الفور بإضفاء البركة على كل ما يقومان به في سبيل نشر دين المسيح.. ومن ناحية أخرى تمت الموافقة فوراً على أن يقوم كولومبس برحلة ثانية، والعودة إلى هسبانيولا.

الرحلة الثانية:

في سبتمبر عام ١٤٩٣م، أي: بعد ستة أشهر من عودته إلى إسبانيا، أبحر كولومبس ثانية إلى هسبانيولا على رأس أسطول من سبع عشرة سفينة تقل أكثر من ١٢٠٠ رجل، وبعض الجياد، والغنم، والخنازير، وحبوب بعض النباتات، وكل ما رأى أنه في حاجة إليه؛ لإنشاء مستوطنة إسبانية في الإنديز.. وفي هذه الرحلة لم يجد صعوبة في إلحاق رجال بأسطوله للإبحار معه.. فقد أبدى آلاف من الإسبان رغبتهم في التطوع تحدوهم الآمال فيما يمكن أن يجنوه من ثروات هذه البلاد.

وفي ٢٧ نوفمبر عام ١٤٩٣م عاد كولومبس إلى نافيداد، إذ كان قد ترك ٣٩ رجلاً في نهاية رحلته الأولى يحدوه أمل في لقاء بهيج معهم خصوصاً أنهم، كما كان يأمل، ربما يكونون قد تمكنوا من جمع كمية لا بأس بها من الذهب حسب ما أوصاهم به.

ولكن.. لشد ما انتابه الرعب والحزن حين لم يجد أحداً من هؤلاء الرجال على قيد الحياة، وأن قلعتهم قد دمرت.. ونفى التيانو عن أنفسهم أي اتهام يمكن أن يوجه إليهم كسبب من أسباب القضاء على رجال نافيداد، وكان مما قاله التيانو لكولومبس: إن رجال نافيداد قد تشاجروا فيما بينهم وقتل بعضهم بعضاً على يد زملاء لهم، بينما فتك المرض بالآخرين.. لكن أكثرهم مات عندما جاء كاسكو (يعني ملك) قبيلة كوانابو Caonabo وهاجمهم وحرق قلعتهم.. لكن كولومبس لم يصدقهم ولم يعد يثق بهم، فأبحر شرقاً للعثور على مكان آخر لبناء مستوطنة إسبانية جديدة.

كان كولومبس وهو في طريقه إلى هسبانيولا قد زار بعض جزر المتوحشين من الكاريب، الذين أطلق اسمهم على البحر الذي يعيشون في جزره التي اشتق منها كلمة كانيبال Cannibal أي آكل لحوم البشر.

وفي هسبانيولا أنشأ كولومبس مستوطنة جديدة أسماها إيزابيلا على شرف الملكة الإسبانية، كما أنشأ بها أول كنيسة تبنى في أمريكا، وقد تم اختيار موقعها إلى جانب مكان أشارت بعض أقاويل التيانو إلى أنه يمكن أن يعثر فيه على ما يريد من الذهب، لكن لسوء حظه، فبدلاً من أن يجد الذهب، فقد هاجم البعوض رجاله، وفتك بهم!! وحين انتشر خبر هذا المرض في إسبانيا أطلق الإسبان على كولومبس اسماً ساخراً هو أمير البعوض، كما تبادل الإسبان والتيانو نقل عدواهم

أثبتت رحلة ماجلان كم كان كولومبس مخطئاً في تصوراته، فالعالم أوسع وأكبر كثيراً مما افترضه

وأمراضهم بعضهم إلى بعض، فأصيب معظم الإسبان بالحمى الاستوائية والزهري بينما أصيب كثيرون من التيانو بالجدري والسيلان.. وبين عامي ١٤٩٤م و١٤٩٦م كان ثلثا سكان إيزابيلا قد توفوا بسبب الأمراض، وهذا الأمر اضطر معه كولومبس إلى إخلائها بعد سنوات قلائل من إنشائها. أما المستوطنون من التيانو فإن آلافاً منهم ماتوا بعد ذلك بالمرض والجوع والأعمال الشاقة حيث كانت حياتهم جحيماً في ظل حكامهم الجدد الذين كانوا يستعبدونهم طوال السنوات اللاحقة، فبينما كان عددهم في هسبانيولا ٣٠٠ ألف، لم يبق منهم على قيد الحياة حتى عام ١٥٤٨م غير ٥٠٠ فقط.

كان كولومبس قد انطلق مبحراً بجوار الشاطئ الجنوبي لكوبا متخذاً السفينة لا نينيا الصغيرة مقراً لقيادته، إذ أثبتت جدارتها في رحلاتها السابقة إلى أن وصل إلى جامايكا، إلا أنه لم ير دليلاً على الثروات التي كان يأمل في العثور عليها حسب ما سمعه من قبل عن بلاد الإنديز.. وأصابه اليأس من العثور على الذهب الذي عليه أن يرسله إلى ملكي إسبانيا؛ لتعويض ما أنفق على رحلاته، كما شعر الإسبان الذين معه بأنه قد خدعهم، وكذب عليهم بشأن الذهب والثروات الطائلة التي تنتظرهم في هسبانيولا.. لكنه استمر في محاولاته، وأرسل فريقاً من رجاله إلى داخل الجزيرة تحت قيادة ضابط خشن الطباع كان كولومبس قد عينه لمتابعة البحث عن الذهب.. وحين لم يجدوا شيئاً أخذوا يسلبون التيانو ممتلكاتهم بأساليب وحشية. وحين مرض كولومبس نفسه لمدة خمسة أشهر قام بحكم هسبانيولا أخوه الأصغر دييجو وزوج أخته بارتلميو، وكانا قد لحقا به لمشاركته فيما يؤول إليه من ثروات.. وحين اشتدت وحشية الإسبان في معاملة التيانو كان من الطبيعي أن يدافعوا عن أنفسهم وبدؤوا في عمل كمائن للإيقاع بهم، ولم يكن في استطاعة كولومبس أن يكبح جماح رجاله، وبدلاً من معاقبتهم لسلوكهم الوحشي أظهر أنه يقف إلى جوارهم بينما يسقط التيانو قتلى، أو يتم أسرهم ليساقوا عبيداً إلى

كان بالبوا أول أوربي يصل إلى شواطئ الباسيفيكي.حيث نزل بكامل ملابسه إلى الماء معلناً: إن البحر و الأرض من أملاك إسبانيا

مستوطنة إيزابيلا.. وبدأ في إرسال خمسمئة عبد إلى إسبانيا على أمل أن في إرسالهم تعويضاً عن إخفاقه في الوفاء بما وعد به من ذهب.. لكن ذلك لم يرض الملك والملكة، ولم يرحبا بهدية كولومبس فأرسلا إليه قائلين: إنهما أرسلاه إلى هذه البلاد لكي يحول أهلها إلى المسيحية لا لتجارة العبيد.

وبعد أن شفي كولومبس من مرضه سمع أن كاسكو (ملك) قبيلة كوانابو قد تحالف مع التيانو وكون الاثنان جيشاً من عدة آلاف من المحاربين. وفي مارس عام ١٤٩٥م توجه جيش التيانو وحليفهم للهجوم على الإسبان، ولم يكن عدد الإسبان في ذلك الوقت بعد أن فتكت بهم الأمراض يتعدى المئتين، ومع ذلك اكتسحوا الهجوم الهندي بفضل استخدامهم لأسلحتهم النارية الفتاكة، وما كانت تحدثه من أصوات الانفجارات من أثر عليهم.. وكان أكثر ما أثار فزعهم رؤيتهم للإسبان وهم يحاربون على ظهر حيوان غريب عليهم هو الحصــان.. كما كانوا يعتقدون أن البنادق ما هي إلا عصـي سحرية تتفجر منها النار.

استمر كولومبس في غزو باقي هسبانيولا ووقع كاسكو كوانابو الذي دمر لا نافيداد أسيراً في يد الإسبان، وكان نتيجة لهذه المجابهات أن قام بعض من رجال كولومبس، الذين عادوا إلى إسبانيا بالشكوى لدى البلاط الإسباني عن الطريقة التي يحكم بها كولومبس هسبانيولا هو وأفراد أسرته، وهذا الأمر

دعا كولومبس إلى العودة إلى إسبانيا في مارس عام ١٤٩٦م بالسفينة لا نينيا للدفاع عن نفسه. وكان من الطبيعي أن تثير هذه الشكاوى الملك والملكة إلا أنهما لم يفقدا بعد الثقة به بعد ما دافع عن نفسه، وأسهب في شرح ما يواجهه من مشاق، سواء مع هنود التيانو أو مع بعض رجاله أنفسهم.

الرحلة الثالثة:

وفي رحلته الثالثة كانت الشكوك تساوره أحياناً في أن الأرض التي وصل إليها ربما لا تكون هي الهند؛ لأنه يعلم أن بالهند حضارة، وتجارة، وممالك، تكلم البحارة والمستكشفون الذين سبقوه عليها.. وأخيراً اكتشف كولومبس شاطئاً طويلاً يصب فيه نهر طويل يدل على أنه لا يكون على جزيرة صغيرة وإنما أرض كبيرة يمكن أن تكون البر الرئيس الذي يبحث عنه، وهو الهند.. أو أن تكون أرضاً جديدة، ربما تكون عالماً آخر.. وجاء في مذكراته: يراودني اعتقاد بأن هذه قارة واسعة مجهولة.. هذا ما يوحي به هذا النهر العظيم، وجريان الماء العذب إلى المحيط، ولو كان ذلك حقاً فسوف يكون الأمر مثيرًا جداً.. وهي من يوميات أغسطس عام ١٤٩٨م.

ومع شكوك كولومبس في أنه ربما يكون قد اكتشف قارة جديدة، إلا أنه لم يعول على ذلك كثيراً، أو يؤمن به أول وهلة. إذ إن الكتاب المقدس يخلو من الإشارة إلى وجود قارة مجهولة أخرى منفصلة، وإنما احتمال وجود أرض غربي أوربا في نطاق الجزيرة الكبيرة التي تضم آسيا، وأوربا، وإفريقية. وهو ما يعرفه الكتاب المقدس عن حدود العالم فضلاً عن أن وجود مثل هذه القارة سوف يكون مدعاة إلى إعادة النظر حثيثاً في كثير من النظريات المتعلقة بالأرض وكرويتها، حسب المعلومات المتوافرة في ذلك الوقت.. والكتاب المقدس يقول: إن الفردوس الأرضي هو الأرض الوحيدة التي لا يعرف مكانها. وإذا كان ما يساوره من شك حول وجود هذه القارة الجديدة أمراً حقيقياً، فهل معنى ذلك أنه اكتشف الفردوس الأرضي؟ كانت أفكاره عند هذه النقطة مشوشة إلا أنه كان أميل إلى التشبث بفكرة الوصول إلى الهند واليابان في نطاق نظريته. من دون تحديد تصورات جديدة تفتقر إلى أمور لا يستطيع حتى الآن الإجابة عنها. وبعد أن طاف بطول الساحل في رحلات متتابعة على

حروب أهلية كثيرة شهدتها أوربا



الرغم من تفشي المرض في رجاله قرر قطع رحلته الثالثة مكتفياً بأنه على الأقل قد اكتشف، أو وصل إلى البر الرئيس، وفي طريق عودته وجد هسبانيولا وقد عمتها الفوضى إذ ثار أكثر من نصف الرجال المقيمين بها على بارتلميو.. ولكي يعيد كولومبس السلام بهسبانيولا لجأ إلى أسلوب جديد في الحكم.. أعطى كل إسباني قطعة من الأرض مع ما يلزمها من عبيد التيانو لزراعتها، وهو نظام عرف فيما بعد باسم Encomienda، ويعني نظام الثقة الذي يحدد العلاقة بين المالك والعبيد التابعين له.

وقبل أن يصل كولومبس إلى إسبانيا كانت أنباء الفوضى التي تعم هسبانيولا قد وصلت إلى أسماع الملك والملكة فأرسلا مبعوثاً اسمه فرانسيسكودي بوباديللا Francisco de Bobadilla؛ لكي يعيد النظام إلى الجزيرة.. وعندما وصل بوباديللا إلى سانتا دومنجو، وكان يحكمها آنذاك دييجو الأخ الأصغر لكولومبس، صدم حين علم أن دييجو قد شنق قبل قدوم بوباديللا بأيام سبعة من المتمردين الإسبان، وهناك خمسة آخرون في انتظار القتل.. كما سمع أحاديث كثيرة من أعداء كولومبس، وهذا ما دعاه إلى أن يلقي القبض على كولومبس، وأخيه، وزوج أخته، وكبلهم بالسلاسل الحديدية، وأودعهم السجن لأكثر من شهر، ثم أرسل بهم إلى إسبانيا لمحاكمتهم.

وفي سفينة العودة وهو مكبل بالحديد عرض عليه قبطان السفينة أن يفك قيوده إلا أن كولومبس رفض ذلك قائلاً: إنه يفضل أن يبقى هكذا حتى يراه الملك والملكة ويأمرا

لو لم تسقط غرناطة.. لربما طويت محاولات كولومبس لكشف أمريكا

وفيات وهياج وثورة في رحلة كولومبس الرابعة فعاد إلى إسبانيا كهلاً محطم الصحة

بفك قيوده، ويرون كيف كوفئ بعد ما فعله من أجل إسبانيا.. وقد ظل كولومبس محتفظاً بهذه القيود طوال عمره وهو يشعر بالأسى، حتى إنه طلب أن تدفن هذه القيود معه في قبره.

كانت صحيفة الاتهامات التي كتبها بوباديللا تحوي كثيراً من صور الطغيان والجشع التي تميز بها حكم أسرة كولومبس.. وهذا ما كشفته وفندته مؤرخة إسبانية اسمها كونسويلر فريلا، بناء على بعض وثائق قديمة اكتشفتها المؤرخة – حسب ما تقول – ومنها أن هؤلاء الحكام من أسرة كولومبس لم يتورعوا عن قطع آذان من يعارضهم وأنوفهم، ويستبيحون استعباد الأحرار وبيعهم كعبيد لحسابهم الخاص، فضلاً عن إخفائهم بعض الذهب عن العاهلين الإسبانيين.. ومع ذلك.. لم تتم محاكمة كولومبس؛ ذلك أن الملكين قد غضبا للطريقة التي عامل بها بوباديللا الإخوة الثلاثة، ثم أمرا بإطلاق سراحهم.. وكانت تجربة لم ينسها أو يغفرها كولومبس، وعاد مرة أخرى إلى العالم الجديد ليبدأ رحلته الرابعة.

الرحلة الرابعة والأخيرة:

تميزت هذه الرحلة بسلسلة من الإخفاقات والإحباطات المتتالية وهم يبحرون بطول ساحل أمريكا الوسطى، وحين حاول كولومبس إنشاء مستوطنة على البر الرئيس، وسماها سانتا ماريا دى بيلين Santa Maria de Belen، هاجم الأهالي المستوطنين الإسبان في قتال عنيف اضطر معه الإسبان إلى اللجوء إلى سفنهم والبقاء فيها بعيداً عن الشاطئ.

أصبحت السفن بعد عدة أشهر جحيماً عائماً، وأصيب كثيرون منهم بالدوار والحمى الاستوائية يصهرهم الجوع والضعف والوهن الجسماني، لدرجة أنهم أخذوا على التعايش مع الحشرات والفئران، كما تسبب هذا الجو الاستوائي في ظهور حشرة قراض الخشب، الذي انتشر في أعماق الألواح الخشبية المصنوع منها السفن، وأصبحت تهدد حياة الرجال بالغرق، ولم يجد كولومبس أمامه إلا أن يهجر اثنتين من سفنه كانت أصابتهما الحشرة، ويواصل إبحاره عائداً إلى هسبانيولا وهو في أشد حالات اليأس والإحباط، إذ دفعت به الرياح وشدة العواصف إلى جامايكا.

وفي يومياته (٧ يوليو عام ١٥٠٣م) كتب يقول: لم تر عيناي البحر في مثل هذا الهياج، ولم يحدث أن بدت السماء وكأنها تهددنا مثل اليوم، فالبرق يتوالى حتى هيّئ اليّ أنه سوف يدمر القلوع، وكانت المياه تنقذف علينا من أعلى من دون توقف حتى تمنى الرجال الموت إنقاذاً لهم من هذه المحنة البائسة.. وكان عليه بعد ذلك أن يهجع إلى راحة هو في أشد الحاجة إليها، وبذلك قضى سنة أخرى في جامايكا.. وعندما رأى بها تماسيح - وهو يعرف أن مياه الهند تمتلئ بالتماسيح - توهم أنه قد وصل أخيراً الى الهند مما رفع قليلاً من معنوياته، فضلاً عن أنه رأى بعض الأهالي في مركب يرتدون ملابس مخيطة، وهي علامة من علامات التحضر.. كانوا من قبائل المايا الذين يقطنون أمريكا الوسطى ويتميزون عن التيانو البدائيين.

إلا أن الأمراض عادت تفتك بالإسبان من جديد - وكولومبس من بينهم - حتى لم يبق على قيد الحياة منهم غير أربعين شخصاً، من مجموع ١٤٣ رجلاً، لم يعد منهم في نهاية الرحلة غير خمسة وعشرين. وبسبب هذه الظروف المهلكة. ثار قبطان إحدى السفينتين اللتين بقيتا مع كولومبس، ويدعى فرانسيسكو دي بوراس، وأقنع عدداً من الرجال بالانضمام

أعطى كولومبس كل إسباني قطعة من الأرض مع ما يلزمها من عبيد التيانو لزراعتها

شعارات دينية تفصح عنها الأعلام



إليه في تمرده، وكان يرى أن العودة إلى هسبانيولا أفضل من البقاء سجناء السفينتين اللتين بقيتا مع كولومبس، إلا أن بارتلميو تصدى للمتمردين، وأنهى تمردهم بعد أن تخلص من بوراس.. ثم ظهر خطر جديد وهو أنه – حتى الأصدقاء من التيانو – سيتوقفون عن إمداد كولومبس ورجاله بالطعام، فلجأ كولومبس إلى خطة ماهرة لبث الرعب في قلوبهم، وجعلهم يعدلون عن موقفهم خشية من سحره.. كان قد عرف من كتاب فلكي أنه سوف يحدث خسوف للقمر في ليلة معينة، فقال للتيانو: إنه سوف يعاقبهم هذه الليلة بأن يطلب من الله أن يطفئ نور القمر.. ونجحت الخطة: إذ زاد اعتقادهم في قوة كولومبس، وعادوا يزودونهم بالغذاء توقياً لسحره.. ومع ذلك كان موقف الإسبان يزداد سوءاً يوماً بعد يوم، حتى كاد كولومبس نفسه يشرف على الموت.. ولم يجد أمامه أخيراً إلا أن يعود إلى إسبانيا في نوفمبر عام ١٥٠٤م وقد أصبح كهلاً محطم الصحة، واستغرق الأشهر الأخيرة من حياته في المطالبة باستحقاقاته عن الخدمات التي أداها لإسبانيا، لكن أحداً لم يستمع أو يلتفت إليه، حتى توفي في ٢٠ مايو عام ١٥٠٦م.

ما بعد كولومبس

انتهى دور كولومبس بوفاته لكن رحلاته أوحت لغيره من المستكشفين أن يمتطوا أمواج المحيط آملين أن يحققوا ما كان كولومبس يحلم به ويصلوا إلى الإنديز عن طريق الإبحار غرباً، إلا أنهم شيئاً فشيئاً أدركوا أن عبور الأطلنطي لن يوصلهم إلى آسيا حتى تحقق لهم أخيراً الوصول إلى قارتين جديدتين هما أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، وبينهما ما يسمى بأمريكا الوسطى، وذلك على يد مستكشف اسمه أميرجو فسبوتشي Amerigo Vesoucci، الذي قام برحلتين إلى البر الرئيس الذي كان كولومبس قد وصل إليه وذلك عامي ١٤٩٩م و١٥٠١م.. وقد تحقق فسبوتشي من أن هذه الأرض ليست جزءاً من آسيا أو الإنديز الآسيوي.

وفي عام ١٥١٣م قاد بالبوا Vasco Nunez de Balboa بعثتين عبر الأرض الأمريكية وصل بهما إلى الشاطئ الآخر المطل على المحيط الباسيفيكي (الهادي)، وبذلك كان أول أوربي يصل إلى شواطئ الباسيفيكي.. وكان أول ما فعله أن نزل وهو بكامل ملابسه إلى الماء شاهراً سيفه ودرعه وهو يصيح معلناً: إن هذا البحر الكبير وهذه الأرض هي من أملاك إسبانيا.. ولم يشك بالبـوا أن هذا البحر الكبير إنما هو محيط هائل يغطي ثلث مساحة الكرة الأرضية.. وقد صدق ظنه.

كان الأوربيون قد سادهم الحزن والأسى لإخفاق المستكشفين – وعلى رأسهم كولومبس – في الوصول إلى الإنديز بالإبحار غرباً، ولكن ما إن أعلن بالبـوا عن عبور البر الرئيس إلى محيط واسع، وأن الأرض التي عبرها هي عالم جديد تماماً.. فإن الشك بدأ يساورهم من أن ما أعلن عنه بالبـوا قد يكون من قبيل الخداع أو الأوهام، وأنه ربما كانت المياه التي وصل إليها عبارة عن مضيق مائي تقع الإنديز خلفه.

ولكن جاء ماجلان Fernando Magellan وأثبت خطأ هذه الظنون برحلته الشهيرة حول الكرة الأرضية.. ففي عام ١٥١٩م قاد ماجلان أسطولاً إسبانياً للبحث عن مثل هذا المضيق الذي تثار الشكوك حول وجوده في الباسيفيك. فسار بحذاء الشاطئ الغربي لأمريكا الجنوبية حتى وصل إلى مضيق في الطرف الأقصى الجنوبي لها.. وحينما اجتازه غرباً أدرك أنه قد انساق إلى محيط هائل يؤكد ما سبق أن أدركه بالبوا من قبل.

وقد أثبتت رحلة ماجلان كم كان كولومبس مخطئاً في تصوراته الجغرافية، فالعالم أوسع وأكبر كثيراً مما افترضه كولومبس، ومن سبقه ممن اعتمد عليهم في دراساته، وأنه ليس هناك طريق مختصر إلى الإنديز، كما كان يتصور ويحلم ويأمل.. وأن هذا المحيط الواسع الشاسع يقف حائلاً بين هذه البلاد البعيدة الإنديز والطرق البحرية الأوربية. وهكذا لم يقدر لإسبانيا كشف طريق بحري مختصر إلى آسيا الغنية



رحلات ماكوبولو أسالت لعاب المغامرين

من خلال ما كان يردده التجار والمغامرون السابقون ذات حضارات.. فيها سفن، وأساطيل، وتجار، وقصور مبنية بالذهب.. إذا كان كولومبس يعرف ذلك فلماذا حشد سفنه بصناديق مملوءة بالخرز، والأجراس الصغيرة، والأقراط، والخواتم، وقطع الزجاج، والأساور، وهي كلها أشياء تافهة لا تثير لعاب بلاد تتاجر في الحرير والبهار والذهب، وتكون ثروات للذين يقومون بها.. هل بلاد ذات حضارات مثل هذه بحاجة إلى بعض قطع الزجاج والخرز والأساور؟ وإذا كان قد تعهد بأن يضع البلاد التي يصل إليها تحت ملكية إسبانيا وتبعيتها.. فهل بمئة رجل – في الرحلة الأولى – يمكن أن يقاوم بلاداً ذات حضارات قديمة مثل الهند، والصين، الثرية.. ولكنها بمتابعة رحلات كولومبس وما تلاها من رحلات غيره من المستكشفين، فقد اتصلت بحضارات أكبر وأكثر تقدماً مما كان عليه التيانو في هسبانيولا.. كانت حضارات لها جذور قديمة، وماض عريق.. هي حضارات الأزتيك Aztecs في المكسيك، والمايا Maya في أمريكا الوسطى، والأنكا Incas في أمريكا الجنوبية، التي قضى عليها جميعها الكونكيستادورس Conquistadors أي (الغزاة)، الذين لم يهبطوا عليهم من السماء، وإنما جاؤوا من أعماق أوربا لتكون خاتمة حضاراتهم على أيديهم.

وبعد هذه الرحلة الطويلة مع كولومبس وما حاطها من شكوك حول الأهداف والدوافع الرئيسة له من هذه الرحلات.. سواء ما دأب المؤرخون على ترديده، أو ما رددته أخيراً النظريات النقدية والتاريخية لهذه الدوافع التي سقنا بعضاً منها ما زال يؤرق المؤرخ لرحلات كولومبس.

سؤال: إذا كانت كل الشواهد التي اعتمد عليها كولومبس وساقها لكل من اتصل بهم تدور حول محاولة الوصول إلى الهند والصين واليابان، وهي بلاد تعرف أوربا

الهوامش والمراجع

١- وقد حدث بالفعل اتصالات في هذا الشأن، منها وصول مبعوثين من قبل أحد الخانات الصينيين إلى جزيرة قبرص عام ١٢٩٤م، يعرض فيه تحالفه مع الملك لويس التاسع ملك فرنسا في حربه التي اخفقت مع المسلمين، ويعده بالعمل على طردهم من فلسطين، وخصوصاً القدس إلا أن ذلك لم يتم.

٢- وقد فصلنا ذلك في مقالنا المنشور بمجلة الفيصل، العدد ٣٤٥ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ (أبريل / مايو ٢٠٠٥م) عن برستر جون.

٣- راجع مقالنا المفصل عن الإسبتارية وفرسان المعبد في مجلة الفيصل العدد ٣٦٧ – المحرم ١٤٢٨ هـ (يناير / فبراير ٢٠٠٧م).

٤- جزر الأزور: مجموعة من الجزر بالقرب من ساحل إفريقية الغربي في المحيط الأطلنطي وعددها تسعة جزر.

٥- ماديرا: أرخبيل مكون من مجموعة من الجزر في المحيط الأطلنطي تجاه ساحل المغرب.

٦- في طلب التوابل: سونيا – هاو – ترجمة محمد عزيز رفعت – ص ٢ – مكتبة نهضة مصر بالفجالة.

٧- الكناري مجموعة من الجزر في المحيط الأطلنطي تقع على بعد من ساحل إفريقية الشمال الغربي وهي سبعة جزر كبيرة وعدد آخر من الجزر الصغيرة.

٨- في طلب التوابل: ص ١٠٤.

٩- المصدر نفسه ص ١٠٦/١٠٧.

10- Christopher C0lumbus –Explorer of the New World ·Peter

واليابان؟ وهل كانت تستدعي إقامة علاقات تجارية مع هذه الحضارات الارتحال إليها - في الرحلة الثانية - بسبع عشرة سفينة عليها ألف ومئتي رجل؟ أم أن كولومبس كان يعرف - سلفاً أو حدساً على أقل تقدير - أنه مقدم على كشف بلاد جديدة ربما تكون مثل هذه السلع التافهة مدخلاً لاحتلالها واستعمارها.. وهو ما حدث..

ويحاول صموئيل وليام موريسون مؤلف كتاب كريستوفر كولومبس - اجتهاداً - إيجاد تفسير لهذه التساؤلات فيقول: إن أوربا كانت تجهل كثيراً عن الشرق الأقصى في ذلك الحين إلا من بعض الشذرات التي قيلت عنها من الرحالين والمغامرين، وأن البرتغاليين في تعاملهم مع شعوب إفريقية وملوكها.. مثال لما يمكن أن يتبع مع شعوب الشرق الأقصى.. وأن كولومبس لم يكن يقصد من إقامته المستعمرات إلا في إطار تأسيس محطات تجارية.. وأنه لا بأس من أن تكون محطات محصنة إذا أقيمت في بلاد أو أقاليم ربما كانت متوحشة أو أن تصبح مستعمرات سلمية تتعامل تجارياً مع ملوك وحكام الشرق الأقصى في إطار تبادل المصالح حسب التعبير الاقتصادي الحديث.. وهي تفسيرات قد تهدئ قليلاً من ثورة الشك لدى المؤرخين لحياة كولومبس وأهدافه إلا أنها تفتقد الأسس التاريخية السليمة وسط جو مملوء بالشبق الاستعماري، والتعصب الصليبي الذي كان يسود أوربا في ذلك الوقت على وجه عام.

Chrisp&Darling Kinder;s Book ;P.13

١١- بين عامي ١٤٥٠ و١٥٠٠م استقبلت أحواض لشبونة ١٥٠ ألف عبد اشتراهم البرتغاليون من تجار العبيد، ورؤساء القبائل الإفريقية الذين كانوا دائبي الإغارة بعضهم على بعض: لاصطياد فرائسهم ثم يتلقفهم تجار العبيد الأوربيون في الأسواق الأوربية

١٢- الميل مقياس للطول قدر قديما بأربعة آلاف ذراع وهو بري وبحري فالبري يقدر الآن بما يساوي ١٦٠٩ أمتار، والبحري يساوي ١٨٥٢ متراً.

١٣- حزقيال ١٨:٢٦.

١٤- زكريا ٩:١٠ مكررة في المزمور ٧٢.

١٥- أشعيا ٤١/٥.

١٦- وهذا الكتاب محفوظ نسخة منه في إشبيلية وعليه تعليقات بخط كولومبس

١٧- في طلب التوابل ص ١٥٧.

١٨- المصدر نفسه ص ١٦٢.

١٩- المصدر نفسه ص ١٥٧.

٢٠- فرديناند الخامس ملك أراجون وصقلية ونابولي ولد عام ١٤٥٢م، وتزوج إيزابيلا ملكة قشتالة عام ١٤٦٩م. وفي عام ١٤٧٩م توفي والده واندمجت مملكتا أراجون وقشتالة تحت حكم فرديناند وإيزابيلا.. كما امتد حكمهما على كل أنحاء أيبيريا فيما عدا البرتغال ومملكة غرناطة الإسلامية.

٢١ - كان كولومبس يصر على ألا يقل عدد أسطوله عن ثلاث سفن: توقياً لأي حادث يعطب سفينة أو سفينتين فيستخدم ما يتبقى من السفن.

٢٢- كريستوفر كولومبس: صاموئيل اليوت موريسون - ترجمة فوزي القبلاوي - منشورات دار مكتبة الحياة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين - بيروت ص ٣٥.

٢٣- المصدر السابق ص ٣٥.

٢٤- جريدة الأخبار المصرية ٢٠٠٤/٧/١م.

٢٥- مجلة Time تايم الأمريكية ١٩٣٧/١١/١٩م.

٢٦- مجلة الثقافة العالمية، الكويتية العدد ٥٩ يوليو ١٩٩٣م ص ٢١.

٢٧- كريستوفر كولومبس: صاموئيل أليوت موريسون ص ٩٢.

٢٨- مجلة الثقافة العالمية، العدد ٥٩ ص ٢١.

٢٩- ينتشر هذا الاسم كثيراً في أرجاء أمريكا غير أن أشهر المدن التي تحمل هذا الاسم هي مدينة سان سلفادور عاصمة جمهورية السلفادور في أمريكا الوسطى

٣٠- كريستوفر كولومبس: صاموئيل أليوت موريسون ص ٩٤.

مراجع أخرى:

- L.Histoire au Cycle Moyen M.Chaulanges - Chaulanger -Delagrave- Paris.

- رحلات كريستوفر كولومبس: آرمسترونج سبيرى - ترجمة: رجائي نجيب مقار - مكتبة الأنجلو - المصرية

- مصرع غرناطة د. شوقي أبو خليل - دار الفكر المعاصر - بيروت.

- المجمل في تاريخ الأندلس: عبدالحميد العبادي - دار القلم - مصر.



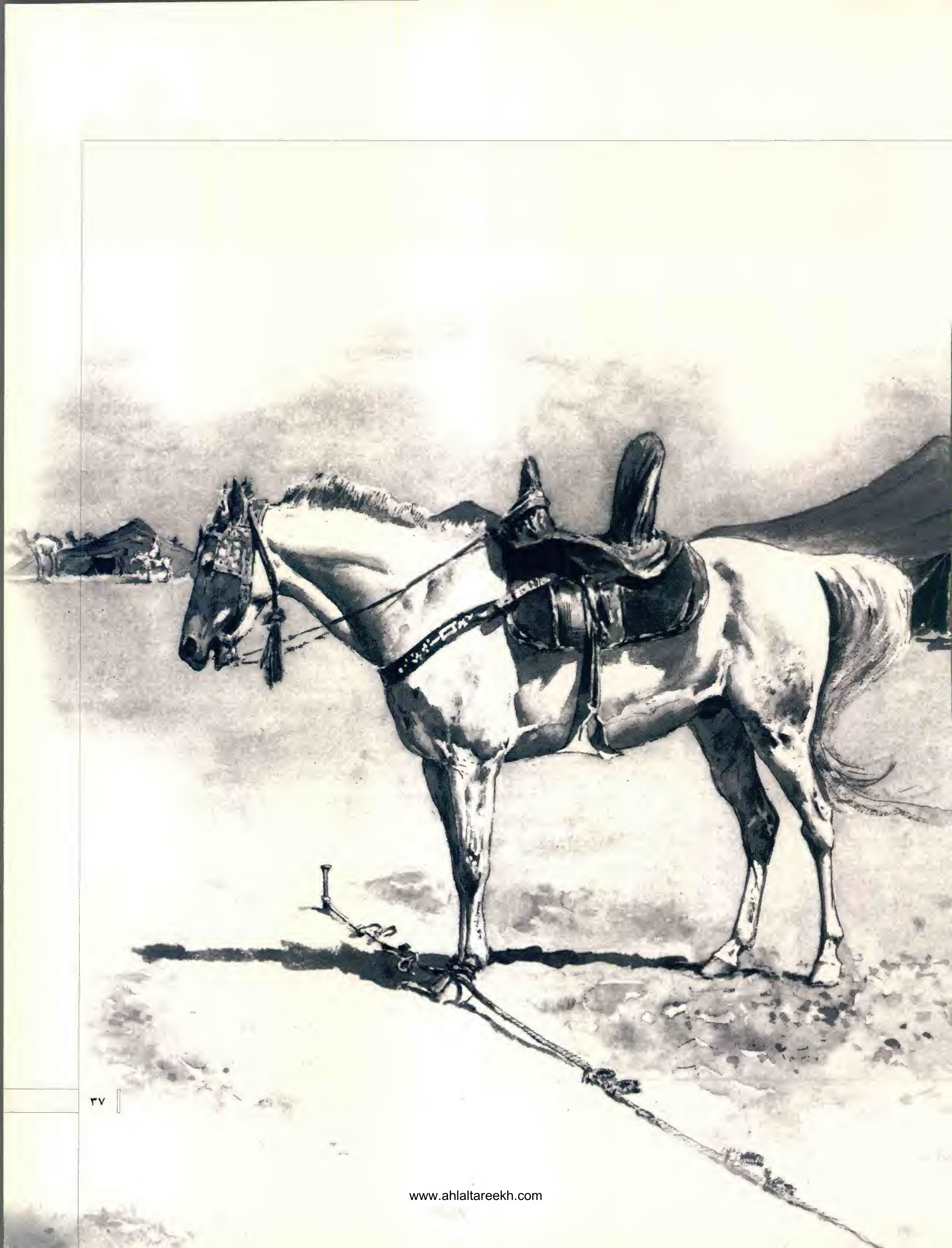
الفارس العربي في الأندلس

كمال نشأت

القاهرة - مصر

نَطيرُ على صَهَوات الجياد إلى جَبْهَة الشمس
نَغْرزُ فيها الرمَاحَ لنُطْلِعَ منْها الصَبَاحَ العَلاقة..
خَرَجْنا مِنَ البيد أطْهرَ مِنْ قَطْرة النَبْع
أكْرَمَ من مَطر في السهوب وأشْجَعَ
من خَاضَ بأسَ الحروب وأشْرفَ
عند اللقاءات هَامَةْ...
نَخُطُّ على الأرض تَاريخَها العَرَبيَّ ونَمْشي
بخطو النُبوّة فوق الدُروب العَصيّة
تَضْحَكُ في خَطْونا ذكْرياتُ البَوَادي
البَعيدة حيثُ الخيَامُ ونيرَانُها الهَاديَاتُ
وحيثُ الأمَانُ السَلامَةْ...
وكانَتْ هَوَادجُ نسْوتنَا كالأهلة
في صَفْحة النَهر القُرْطُبي حينَ
نُطلُّ عليه نَراهُنَّ في لحظات الترحُّل عند
الينابيع بينَ الخيام.. ولكننا نُكْملُ الدَرْبَ
والنَصْرُ بين العيون وفي اليد سيفُ
المَنُون وفي الرأس تَزْهو العمَامَةْ..
ويزحفُ طارقُ حتى يدينَ له الغَرْبُ
تنْكَشفُ المُدُنُ البيضُ ذاتُ المَعابد
حيثُ الزُجاجُ المُلونُ والعُشْبُ والقمَمُ
العاليات الثلوج وحيثُ الرَّخَاءُ وكلُّ الوَسَامَةْ..

ونُوغلُ في زَحْفنَا والقلاعُ الضخَامُ
تَساقَطُ حتى جبال «البَرانس»..
ونَوغلُ حتى لتَرْفَع أعْنَاقَها الخيلُ
صَوْبَ المَشَارق يَصْهَلُ فيها الحَنينُ
إلى الشيح والكَلأ المُسْتَريح
بوَادي الغَضَا أو تهَامَةْ..
ولي كَبِدٌ مثلُهَا عَذّبَتهُ تَباريحُ هذا
الحنين إلى ماء نَبْع وراءَ البلاد..
إلى مَنْ تجيءُ به في الصَبَاح..
فإن حَانَ مَوْتي فلا تَدْفنوني فَقَبْري
جرَاحي وخَلّوا بكفي سلاحي وقولوا
فتى مَاتَ في غُرْبَتين مِنَ البُعْد
والحَرْب.. ماتَ وعَيْنَاهُ للشَرْق
صَوْبَ نَخيل اليَمَامَةْ..



إعلان الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية

جائزة خدمة الإسلام لخادم الحرمين الشريفين

نال خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام تقديرًا لإنجازاته الجليلة، التي تمثلت داخل المملكة في كثير من المشروعات الرائدة العظيمة: اقتصادياً واجتماعياً وفكرياً وتعليمياً وعمرانياً، وهي مشروعات تصبّ في مصلحة المواطنين بعامة، وذوي الدخل المحدود بخاصة.

ومما شملته تلك المنجزات، في المجال الاقتصادي: إنشاء مدينة الملك عبد الله الاقتصادية، ومركز الملك عبدالله المالي، وصندوق الاستثمار لذوي الدخل المحدود؛ وفي المجال الفكري والاجتماعي: إنشاء هيئة حقوق الإنسان، ومركز الحوار الوطني؛ وفي المجال التعليمي: إنشاء الجامعات، ومن أبرزها جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية، التي يتوقع أن تكون لها مكانة عالمية رفيعة؛ وفي المجال العمراني: ما أنجز في الحرمين والمشاعر المقدسة، وإنشاء مساكن لذوي الدخل المحدود من خلال مؤسسة الملك عبد الله بن عبد العزيز لوالديه للإسكان التنموي.

أما على الصعيد الخارجي، فقد تمثّلت إنجازات خادم الحرمين الشريفين في الوقوف بحزم مع الحق بالنسبة إلى قضايا الأمة العربية والعالم الإسلامي، وبخاصة قضية فلسطين، وبذل كل ما يُستطاع لإصلاح ذات البين بين الأشقاء من العرب والمسلمين، ومدّ يد العون السخيّة إلى المحتاجين من المسلمين وغيرهم، والعمل على تحقيق السلام العادل.

وقد صرح صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز - أمير منطقة مكة المكرمة، والمدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية - أن فوز خادم الحرمين الشريفين هذا العام بجائزة خدمة الإسلام يعني أن الإسلام والقيادات الإسلامية هي مصدر خير، ومصدر عمل دؤوب لإسعاد البشرية، كما يعني أن التوجه الإسلامي والفكر الإسلامي والإنسان المسلم هم عامل بناء وفاعل في هذا العالم، وهذا الفعل



الملك عبدالله بن عبدالعزيز

الذي يمتاز به المسلم هو فعل لخدمة البشرية جمعاء.

فوز خادم الحرمين الشريفين يعني أن قيادة هذه المملكة وشعبها وسياسة المجتمع وثقافته وفكره هي ثقافة إنسانية، وفكر حضاري، وعمل خيري، الفوز بهذه الجائزة يعني أنه الوجه الحقيقي الذي يدعو إلى الاعتزاز بالإسلام، ويمثل الفكر السعودي الداعي إلى الخير والسماحة والتعاون الإنساني بين بني البشر.

وكان الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية الدكتور عبدالله الصالح العثيمين قد أعلن في بيان الأمانة العامة للجائزة أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م في فروعها الخمسة، وهي: خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، واللغة العربية وآدابها، والطب، والعلوم.

وقد قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية حجب الجائزة هذا العام ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م، وموضوعها (أحكام العلاقات الدولية في الإسلام في حالتي السلم والحرب)؛ وذلك لعدم استيفاء الأعمال المرشحة لشروط منحها.

ونال جائزة اللغة العربية وآدابها، وموضوعها (قضايا المصطلحية في اللغة العربية) مناصفة البروفيسور أحمد مطلوب الناصري - العراقي الجنسية، أستاذ البلاغة والنقد، ورئيس المجمع العلمي العراقي بالوكالة- والبروفيسور محمد رشاد محمد الصالح حمزاوي - التونسي الجنسية، أستاذ اللغة العربية، ورئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة السلطان قابوس سابقًا.

ومُنح البروفيسور أحمد مطلوب الجائزة تقديراً لجهوده المتميّزة في خدمة المصطلح العربي، من خلال علمه الغزير، وإحاطته بالمصطلحات البلاغية والنقدية.

أما البروفيسور محمد رشاد حمزاوي فقد مُنح الجائزة تقديراً لجهوده العلمية المتميّزة في استقراء وجوه من المصطلح العربي في القديم والحديث، مع السعي إلى تطوير نظرية لعلم المصطلح في إطار المعجمية عامة، والمصطلحية خاصة.

وفاز بجائزة الملك فيصل العالمية للطب، وموضوعها (طب الحوادث) مناصفة البروفيسور دونالد دين ترنكي - الأمريكي الجنسية، أستاذ الجراحة بقسم الجراحة العامة بجامعة أوريقن للصحة والعلوم- والبروفيسور باسل آرثر بروت - الأمريكي الجنسية، أستاذ الجراحة الإكلينيكي في مركز العلوم الصحية بجامعة تكساس.

والبروفيسور دونالد دين ترنكي من أعظم روّاد طب الحوادث، وقد أنشأ نظامًا فعالاً لعلاج المصابين في الحوادث (بمن في ذلك مرضى القلب ومن زرعت لهم أعضاء). أما البروفيسور باسل آرثر بروت، الأمريكي الجنسية، فمشهود له عالمياً رائداً في مجال جراحة الحروق الخطيرة وعلاجها والتعامل معها.

وفاز بجائزة الملك فيصل العالمية للعلوم وموضوعها (علم الحياة) البروفيسور رودجر فينر - الألماني الجنسية، الأستاذ بجامعة زيورخ بسويسرا. وهو أحد أبرز علماء بيولوجية الجهاز العصبي والسلوك في العالم.

تجدر الإشارة إلى أن موضوعات الجائزة للسنة القادمة (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م) كما يأتي: موضوع جائزة الدراسات الإسلامية (الدراسات التي تناولت الفكر العمراني البشري عند علماء المسلمين)، وموضوع جائزة اللغة العربية والأدب (تحقيق المؤلفات الأدبية الشعرية والنثرية المصنّفة في المدة من ٣٠٠ - ٧٠٠هـ). أما جائزة الطب فموضوعها (العلاج الموجه بالجزيئات)، وتقرر أن يكون موضوع جائزة العلوم (الفيزياء).

دارة الملك عبدالعزيز تحذر من تداول مجموعة من الوثائق المزورة

رصدت دارة الملك عبدالعزيز مجموعة من الوثائق التاريخية المزورة التي وردت إليها من داخل المملكة العربية وخارجها.

وذكر الدكتور فهد السماري - الأمين العام لدارة الملك عبدالعزيز: «أن الدارة منذ مدة غير قصيرة قامت بالتصدي لمثل هذه الوثائق المشكوك في مادتها العلمية، وأصلها التاريخي، وفضح أمرها عبر أساليب متعددة، أهمها: تعاون بعض الباحثين والمهتمين الغيورين بالإدلاء عن الوثائق المشبوهة لدى الآخرين، أو بالاتصال على بعض المعلنين عن وثائق ومخطوطات في المطبوعات الورقية والإلكترونية للتأكد من جدية المعلن، وسلامة وثائقه المعروضة للبيع»، وعن مجموعة الوثائق المزورة الجديدة التي كشفت الدارة أمرها؛ قال: «ليست هذه المجموعة الأولى، ولن تكون الأخيرة التي نكتشف تزويرها ما لم يتعاون المواطنون والمهتمون والراغبون في الاقتناء مع الدارة، إما باستشارتها قبل اقتناء الوثائق التاريخية، وإما التبليغ عن وثائق تاريخية مشكوك في أصلها أو مادتها العلمية».

تحقيق



المستطيلات

الغامضة في منطقة حائل

عبدالله بن محمد الشايع
الدوادمي - السعودية

بالصُّوى، والمذيلات، والدوائر الحجرية، وغيرها، وذلك ضمن مشروع تحقيق مسارات طرق القوافل القديمة الذي تحتضنه «دارة الملك عبدالعزيز» ففي شهر شعبان من عام ١٤٢٧هـ كنت في جولة في الأرض الواقعة جنوب جبل «حبران» وجبل «أم الأرسان» فمررت بمستطيل أضلاعه الأربعة مبنية بالحجارة بارتفاع خمسين سنتيمتراً يبلغ طوله ٣٩٥ م، وعرضه ٣٥م، وليس له فتحات أبواب، وأرضه من الداخل على طبيعتها. لقد استوقفني هذا المربع المستطيل الشكل؛ لكوني لم أشاهد مثيلاً له من قبل، وقد غادرته من دون أن أتوصل إلى معرفة الغرض الذي أنشئ من أجله. وعندما تجولت حوله عثرت على مستطيلات أخرى مشابهة له من حيث الشكل ومتفاوتة من حيث الطول والعرض.

تلك المستطيلات فتحت أمامي ثغرة واسعة في مجال أنماط الشواهد الأثرية الموغلة في القدم التي تزخر بها بلادنا.

وقد كتبت عن هذه المستطيلات مثالاً في جريدة «الجزيرة» بعددها رقم (١٢٨٢٤) الصادر بتاريخ ١٦ رمضان سنة ١٤٢٧هـ بعنوان «اكتشاف مستطيلات أثرية في منطقة حائل». وذلك بغية مشاركة الآخرين لي بإيجاد تعليل لوجود هذه المستطيلات المحيرة، وعما إذا كان غيري قد وقف على ما يماثلها في منطقة أخرى، ولكن لم يحدث ما توقعته من مشاركة الآخرين.

ومع كثرة تجوالي وخصوصاً في منطقة حائل كنت أحرص على أن أجد مثيلاً لهذه المستطيلات التي رسمت أمامي علامة استفهام كبيرة صعب عليَّ الإجابة عنها.

ونتيجة للتركيز في متون الجبال وسفوحها في أثناء الرحلات الميدانية تمكنت من العثور على مستطيلات أخرى في أماكن متباعدة من منطقة حائل. ولذا قررت جمع شتات هذه المنظومة الغريبة عسى أن أتمكن من اجابة عن السؤال المرتسم بشأنها؛ ولذا قررت القيام برحلة خاصة لهذا الغرض.

الطريق إلى جبل أركان

وفي صباح يوم الأربعاء ١٨ من ذي القعدة سنة ١٤٢٨هـ

وهب الله «منطقة حائل» سحراً أخاذاً يجتذب من يتجول فيها، ولاسيما محبي الرحلات البرية، والباحثين عن الأماكن الأثرية. ويكمن سحرها هذا في جمال تضاريسها من جبال سامقة وهضاب حمراء جميلة، وأودية مزدانة بأشجار الطلح المنتظم فيها.

لقد قمت برحلات متتابعة في تلك الربوع الجملية للبحث عن الشواهد الأثرية على مسارات الطرق القديمة المتمثلة

قمت برحلة إلى منطقة حائل صحبني فيها الأستاذ سعد ابن عبدالعزيز السالم.

لقد اخترت سلوك الطريق المار بمدينة «سميراء» وبعد اجتيازها سلكنا الطريق المؤدي إلى «العظيم»، ومن العظيم سرنا شمالاً قرابة ثلاثة عشر كم لنصل إلى جبال سود كنت قد رصدت عليها أحد المستطيلات، وبعد الالتفاف حول الجبل شاهدنا مستطيلاً آخر على متن الجبل، كما أنه يوجد على ظهر الجبل مستطيل ثالث.

ومن هذه المستطيلات عدنا إلى الطريق المزفت لنتجه غرباً إلى جبال «رُمَّان» حيث سبق أن وقفت على مستطيل فوق الطرف الجنوبي الشرقي من جبل رمان الأحمر يبلغ طوله قرابة النصف كم، ولن أتكلم على هذا المستطيل العملاق؛ لأن الكلام عليه يطول، وسأتكلم عليه في وعاء آخر قريباً إن شاء الله.

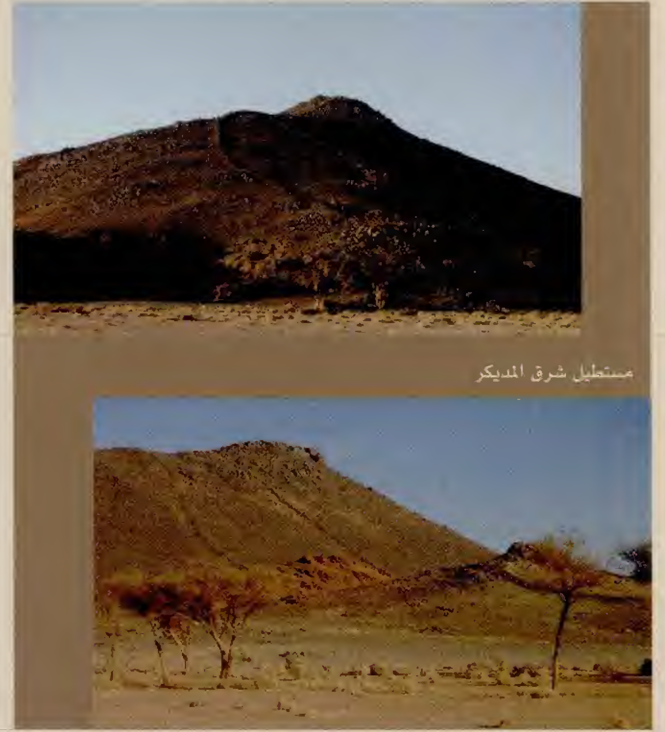
وغرباً من بلدة «المستجدة» وقفنا على مستطيل موضوع على متن جبل يبلغ طوله ٣٠٠ م، وعرضه ٤٠ م.

كان مبيتنا ليلة الخميس ٢٩ من ذي القعدة سنة ١٤٢٨هـ شمال «ريع البكر»، وفي الصباح الباكر اتجهنا شمالاً قاصدين «سَرَّاء» وما حولها، وبعد اجتيازها والوصول إلى «المويكر» وقفنا على مستطيل يقع شرقاً على صدر جبل أحمر؛ هذا المستطيل يشاهد من بعد يبلغ طوله ٤٠٠ م، وعرضه ٦٠ م. ومنه سرنا باتجاه مدينة «حائل» على سمت جبل «أركان» حيث سبق أن شاهدت مستطيلاً فوق جبل مجاور له من جهة الجنوب.

وبعد أن سرنا من مستطيل المويكر قرابة ١٢ كم وصلنا إلى جبل أسود معترض شاهدنا في شرقيه جبلين حجريين نازلين، وعند محاذاة الجبل من جهة الشمال شاهدنا مستطيلاً فوق ظهر الجبل فقررنا الصعود إليه، وإن كان مرتقاه صعباً، وعندما بلغنا ظهر الجبل وجدناه مستطيلاً محكم التنفيذ يبلغ طوله ٢٧٠ م، وعرضه ٤٠ م، ويوجد في شرقيه ركمين كبيرين، وبعض الرموز التي تحتاج إلى دراسة.

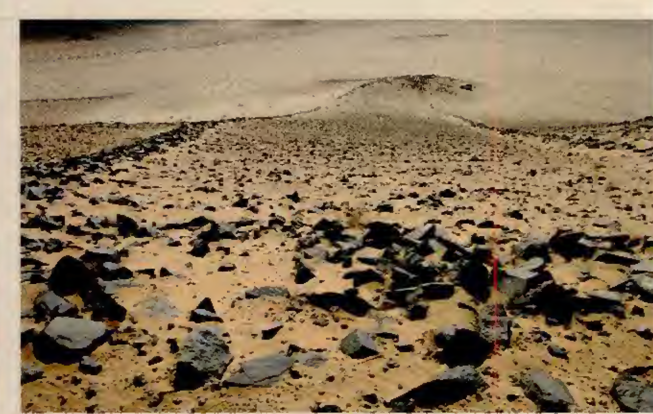
عندما انحدرنا من الجبل متجهين شمالاً شاهدنا آثار بئر واسعة مدفونة تكثر الحجارة حول فوهتها، واقعة في البطن المقابل

مستطيل غرب بلدة المستجدة



مستطيل شرق المديكر

مستطيل بطول ٢٠٠م وعرض ٣٠م





مستطيل فوق جبل جنوب أركان

للمستطيل، والواقف عندها يشاهد الطرف الغربي من المستطيل. ويبدو من شكل هذه البئر أنها قديمة قدم هذا المستطيل!!

ومن هذا الموقع واصلنا طريقنا إلى جبل «أركان» ذي المناظر الخلابة. وقد زرت هذا الجبل عدة مرات، وخلال كل زيارة اكتشف حوله شيئاً جديداً؛ وخصوصاً تلك الدوائر الحجرية المحكمة التنفيذ المتضمنة كثيراً من الرموز التي تحتاج إلى من يقوم بتحليلها ومعرفة ماذا تدل عليه، ولعل أبرز هذه الدوائر دائرة كبيرة تقع في سفح جبل أركان من الناحية الشمالية الغربية، ويبلغ قطرها ٦٠ م.

وفي سفح جبل يقع بجوار أركان من جهة الجنوب دوائر ذات حجارة ضخمة منصوبة، وبداخلها رموز وإشارات.

عند مغادرة جبل أركان الذي لا يمل الإنسان من التجوال حوله اتصل بي هاتفياً الأستاذ عبدالله بن صالح السهلي، وأفادني أنه موجود الآن في طرف جبل «سلمى» للوقوف على بعض الشواهد الأثرية.

وقد عرفت في الأستاذ عبدالله من خلال رحلتين قمنا بهما معاً أنه رحالة من الدرجة الأولى، وممن يقتحمون المصاعب للوصول إلى الهدف المقصود، وقد أفادني أنه لم يسبق أن زار جبل «أركان» فأعطيته إحداثية الموقع، وكان يصحبه الأستاذ خالد بن سليمان الدُّخَيِّل، وهو لا يقل عنه في حب الرحلات الاستكشافية مع ما فيها من الصعوبات والمخاطر.

وبعد الظهر تمَّ لقاؤنا عند جبل أركان فكان لنا جولة حوله، والوقوف على بعض الشواهد الأثرية الموغلة في القدم.

وخلال استراحة بعد العصر ذكرت لهما أن في وسط الجبل بئراً قديمة، وهي موقعة على الخرائط باسم «بئر أركان»، وقد حاولت الوصول إليها، ولكني لم أتمكن حتى الآن من الوقوف عليها.

وقد حددا مكانها بواسطة الكمبيوتر فاتضح أنها لا تبعد أكثر من ٦٠٠ م عن مكان استراحتنا. فأزمعا الذهاب إليها على الأقدام من خلال شعب ضيق، وقالا: إن الوصول إليها، والعودة لا يستغرق أكثر من عشر دقائق، وبعد ذهابهما مضت عشرات الدقائق من دون أن يعودا، حتى أوشكت الشمس على المغيب، فبدأ يساورني القلق، وبعد برهة توقفت سيارة، وترجلا منها، وأفادا أن الوصول إلى الآبار كان صعباً من هذا الطريق، ولذا لم يعودا معه، وإنما فضلا العودة مع شعب آخر، وإن كان بعيداً، وقد وقفا على الآبار وصوراها وهي مندفنة في الوقت الحاضر.

وفي طريق عودتهما تطوع أحد الشباب الموجودين هناك للتنزه، فأوصلهما إلينا مشكوراً. وهكذا حقق هذان الشابان ما

> تلك المستطيلات فتحت أمامي ثغرة واسعة في مجال أنماط الشواهد الأثرية الموغلة في القدم التي تزخر فيها بلادنا.


دائرة كبيرة في سفح جبل أركان


مستطيل سمراء حائل

استعصى عَلَيَّ تحقيقه. ويبدو لي أن هذه الآبار داخل الجبل مورد قديم، وقد يكون للدوائر الحجرية ورموزها علاقة به.

لقد أمضينا مع الأخوين عبدالله وخالد هزيعاً من الليل ونحن نتجاذب أطراف الحديث حول الرحلات الميدانية، مع ما يصحبها من استمتاع في اكتشاف المجهول من آثار بلادنا المنسية.

وفي نهاية سمرنا ودعناهما حيث عادا إلى القصيم، أما نحن فقد اتجهنا إلى «حائل» حيث بتنا بجوارها، لنستأنف بحثنا في الصباح عن المستطيلات.

سمراء حائل ولغز المستطيلات الغامضة

بما أن المستطيلات غالباً ما تكون على متون الجبال ذات السطوح المستوية أو فوق الأراضي الحجرية المستوية؛ لذا حرصنا على التطلع إلى هذا النوع من الجبال، وبما أني سبق أن رصدت مستطيلات قرب مزارع «المندسة الغربية» شمال شرق حائل؛ فقد حرصنا على مسح الجبال المجاورة لمدينة حائل من الجهة الشرقية، وبخاصة ذاك الجبل المسمى «سمراء حائل»، وعند الالتفاف حوله شاهدنا مستطيلاً في سفحه الشمالي، هذا المستطيل يشير إلى أعلى الجبل، ويبلغ طوله ١٧٠ م، وعرضه ٤٠م.

وهذا المستطيل رغَّبَنا في الصعود إلى ظهر الجبل، وقد سلكنا الطريق المزفت من خلال المتنزه الحديث والموصل إلى أعلى القمة الغربية للسمراء.

وتحت المطل المشرف على مدينة حائل أوقفنا سيارتنا، وكان وقوفنا عند طرف مستطيل ممتد على ظهر الجبل وامتداده شرق غرب بطول ٣٥٠ م، وعرض ٤٠ م، وأضلاعه محكمة التنفيذ غير أن ضلعه الغربي غطته مخلفات تسوية الموقع. وإنك لتعجب من تنفيذ هذا المستطيل بتلك الأحجار الضخمة المثبتة في أرض الجبل الحجرية.

لا أشك أن غيرنا شاهد هذا المستطيل الغريب، ولكن كثيراً من الناس لا يلقون بالاً ولا تستوقفهم مثل هذه الشواهد الأثرية، ومن يتساءل منهم يقال له: إن هذا من عمل «بني هلال» تلك القبيلة التي أصبحت بمنزلة مشجب يعلق عليه تعليل كل أثر مجهول.

في أثناء سيرنا وسط المستطيل استرعى انتباهنا وجود جادة واضحة كنا نسير معها، وقد اجتاز المستطيل مشرقة باتجاه القمة الشرقية للسمراء. فقررنا سبر غورها حتى انتهت إلى قرب منحدر الجبل من جهة الشرق.

ولم نجد هناك شيئاً لافتاً للنظر إلا رسماً يبدو أنه مِتْراس، وبجواره مصلى صغير قد لا يتسع إلا لشخص واحد.

وبإمعان النظر لاحظنا أن الجادة استمرت متياسرة لتصعد إلى أعلى قمة من الطرف الشمالي الشرقي من الجبل، فاستمررنا في الصعود لنفاجأ بوجود قلعة مدورة الشكل، بجوارها مصلى محاط بالحجارة، يتسع لأناس كثيرين؛ عند هذا أدركنا سر هذه الجادة اللاحقة التي مشينا معها.

هذه القلعة أو الحصن فوق هذه القمة الشاهقة لا شك أنها استخدمت للاستطلاع كحماية، وكإنذار مبكر عند قدوم عدو ما. وهي مقامة من الحجارة، وقد استخدم في البناء مادة شبيهة بالجص، وهذا الحصن مدور الشكل، ومقسم من الداخل، وليس له سقف الآن.

ومما يؤسف له أن أيدي العابثين بالآثار ممن يبحثون عن الكنوز الوهمية قد امتدت إلى أرضية وسط الحصن، حيث يوجد حفر يستدل من شكل التراب المستخرج أنه حديث التنفيذ، وأن الحفر تمَّ في يوم قائظ بدليل كثرة أوعية الماء البلاستيكية الفارغة التي لم تغير الشمس لونها بعد.

وظني أن من قاموا بتنفيذ هذا الحفر عادوا بخفي حنين، أما أحدهم فقد جاء طالباً وعاد مطلوباً؛ لأنه خلف قلمه الناشف الجديد ذا الحبر الأسود على حافة الحفرة.

لقد احتفظنا بهذا القلم الجديد معنا كذكرى لوصولنا إلى هذه القمة العالية. (انظر إلى شكل الحصن من الخارج ومن الداخل، وإلى الحفر الذي لم يمض على تنفيذه - كما نظن - أكثر من شهر أو شهرين).

هذا الجبل الأسود الذي صعدناه لم أكن أعرف اسمه، وعندما سألت عنه قيل اسمه «السمراء» أو «الموقدة».

ولذا رجعت إلى كتاب «معجم شمال المملكة» فوجدت بأن الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - قال في صفحة ٢/ ٦٩٠ ما نصه: «السَّمْراءُ - مؤنث الأسمر اللون المعروف: سلسلة من الجبال منفصلة عن أجا، تقع شرقه، وتقع مدينة حائل بينهما، ويفصل وادي حائل هذه السلسلة حيث يضيق فيها فيسمى الخَنَقَة... وأعلى قمة في السمراء وتقع شرق الوادي تدعى الموقدة، وفوقها آثار حصن حديث البناء...»، انتهى قوله باختصار.

لا أشك أن غيرنا شاهد هذا المستطيل الغريب، ولكن كثيراً من الناس لا يلقون بالاً ولا تستوقفهم مثل هذه الشواهد الأثرية

بعد عودتنا إلى سيارتنا التي أوقفناها فوق المطل بجوار الضلع الغربي للمستطيل الحجري انحدرنا لنمتع النظر بجمال منظر عروس الشمال، وبجمال هذا المتنزه الرائع التنفيذ. وإن كان قادنا المستطيل إلى قلعة فوق قمة الجبل، وهذا يدل على أنها استخدمت كحماية أو للإنذار المبكر عند قدوم عدو من تعكير لصفو هذه الأحاسيس الجميلة فهو تلك الكتابات بالأقلام العريضة، والنجاحات على الجدار الإسمنتي على طول الطريق الصاعد إلى المطل؛ هذه الكتابات خطتها أنامل أشخاص لم يتلقوا من التربية والتوعية ما يحول بينهم وبين تشويه جمال هذا المتنزه الرائع.

ولا شك أن هذه الظاهرة وهي ظاهرة نراها في كثير من المرافق العامة توحي بأننا مازلنا مقصرين في توعية أبنائنا، ولا سيما في المدارس، ويا حبذا لو أن المعلمين يركزون في توعية طلابهم في الصفوف الأولى خلال مادة «التربية الوطنية» في مثل هذه الأمور.

مصايد الوحوش

ولنترك «جبل السمراء» ومستطيلاته لننحدر محاذين



حصن في قمة جبل



دائرة بداخلها إشارات ورموز



آثار العابثين داخل الحصن



منظر الحصن من الداخل

لمجرى وادي حائل «الدّيْرع» لتصيد مستطيلات جديدة.

كان سيرنا مع الطريق المتجه إلى «بقعاء» وعند محاذاة الطرف الغربي لجبال «الحميمة» تياسرنا لنقف عند شواهد أثرية موجودة هناك سبق أن زرتها أكثر من مرة وكتبت عنها مقالاً بجريدة الرياض عدد ١٣٢٤٨ الصادر بتاريخ ١٧ من شعبان سنة ١٤٢٥هـ.

وفي هذه الرحلة أحببت أن نعتلي المرتفعات المطلة على هذه الخريطة الحجرية، وبالفعل وجدنا ركامات كبيرة، وبالقرب منها على حافة المرتفع المطل على هذه الخريطة يوجد شكل دائري محكم البنيان إلاّ أنه إلى الاستطالة أقرب.

بعد ذلك أشملنا قاصدين «المندسة الغربية» الواقعة في حضن النفود الكبير، وفي الطريق توقفنا عند بعض الشواهد الأثرية منها حِبال حجرية تمتد في الأرض، وقد غطت الرمال أجزاء منها لقدمها، ومن بين ما وقفنا عليه شكل من الأشكال الغريبة التنفيذ التي أطلقت عليها سابقاً اسم «الأشكال المعقدة التركيب»، وقد فوجئت بوجود هذا الشكل المتميز في منطقة حائل بينما أكثر وجود لها في «حرة الحرة» في منطقة الجوف، وعلى امتداد الحرة داخل الأراضي الأردنية.

وهذا الشكل الموجود في منطقة حائل أنموذج مطابق تماماً لتلك الأشكال المعقدة التركيب هناك، وهي أشكال تتكون من دوائر يربط بعضها ببعض جدار من الحجارة، لتشكل في مجموعها مثل الفناء الواسع، له فتحة ينطلق منها حبلان حجريان يشكلان زاوية منفرجة، هذا الحبلان يستمران، وقد يبلغ بعض هذه الحبال أكثر من نصف كيلو متر.

وهذه الأشكال الغريبة في بقعاء هي ما أطلق عليه علماء الآثار اسم «المصايد» أي أنها مصايد للوحوش النافرة، ولكوني وقفت على عدد منها سواء داخل المملكة أو في الأردن فلست معهم في رأيهم هذا، لذا يتحتم علينا التعرف إلى

أحد المستطيلات يقود إلى قلعة فوق قمة جبل سمراء يبدو أنها استخدمت للحماية والإنذار المبكر

الهدف الذي نفذت من أجله.

وأقول: إن على متخصصي الآثار عندنا إعادة النظر في تلك المقولة.

عندما وصلنا إلى مزارع المندسة وقفنا على عدد من المستطيلات، وهي علي غرار تلك المستطيلات التي مَرَّ ذكرها، وإذا كان هناك فارق بينها فهو في نوع الحجارة المستخدمة ومقاومتها لوسائل التعرية.

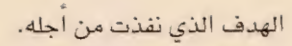
خاتمة القول في المستطيلات.

لم أقرأ فيما اطلعت عليه من المراجع والبحوث أن أحداً أورد ذكراً لهذا النمط من الشواهد الأثرية سواء من المتقدمين أو المتأخرين. ولذا أرى أن هذه المستطيلات جديرة بالدراسة والبحث الأثري المكثف من الجهات المعنية بالآثار عندنا، وبعد تسليط الضوء عليها سيتضح لنا الهدف من إنشائها على هذا الشكل اللافت للنظر، وكذا التعرف إلى الفترة الزمنية التي نفذت فيها. ويقيني أنها موغلة في القدم وأن من قام بتنفيذها دولة غنية.

وليست من عمل أفراد عاديين. كما أدعو إلى العمل على المحافظة عليها بوصفها آثاراً قديمة، ولن يدرك ما أتكلم عليه هنا إلا من يقف على تلك المستطيلات ويتفحصها، فهل تفوز بالاهتمام؟ هذا ما أتمناه.

الأشكال الغريبة في «بقعاء» هي ماأطلق عليه علماء الآثار اسم «المصايد» أي أنها مصايد للوحوش النافرة





الجربوع، عبد العزيز صالح/ قانون المربعات الأربعة بعنوانه العريض.- لندن: شركة سنجار لخدمات النشر والإعلام المحدودة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ١٨٠ ص.

العنوان الكامل للكتاب (هكذا أنت.. وهكذا يفكر الآخرون.. حدث في لجم التخريص والتنجيم والارتجالية.. قانون المربعات الأربعة)، وهو يشتمل على خمسة فصول: تناول الفصل الأول الانطلاقة الأولى للحضارة العربية الإسلامية. وقدم المؤلف عرضًا موجزًا للدور العربي الإسلامي في إذكاء جذور الحضارة الغربية التي تهيمن على عالم اليوم.

وحمل الفصل الثاني عنوان «البنية التعليمية والتنمية البشرية»، ويشير فيه المؤلف إلى أهمية ما اصطلح عليه حديثاً برأس المال الثقافي ودوره في اقتصاد المعرفة الحديثة، أو الاقتصاد التقني الإلكتروني.

وقد جزأ الفصل الثالث إلى ثلاثة أجزاء، جاء الأول بعنوان: أسباب نشوء القانون، وعالج فيه عدة محاور ذات صلة وثيقة بالموضوع، أما الثاني فهو عن فوائد القانون، وقد اشتمل على ثلاث عشرة فائدة ومأثرة، بينما تتبع الجزء الثالث مراحل تطبيق قانون المربعات الأربعة وانعكاسه على توزيع الطلاب بين المربعات الأربعة.

ويتسم الفصلان الرابع والخامس بالسمة العلمية والتطبيقية البحتة. فقد قسم الفصل الرابع إلى خمسة محاور، ابتدأها بكيفية تشكيل الرسم البياني والمربعات الأربعة. أما المحاور الأربعة المتبقية فقد خصصها للمربعات الأربعة، طرح في كل محور أربعة موضوعات متشابهة، ولكنها ذات دلالات تحليلية مختلفة، وتقسيمات متباينة تتفاوت من مربع إلى آخر. و الموضوعات المتشابهة في كل محور هي: موقع المربع على الرسم البياني، وقائمة تخصصات المربع، وشرح تفصيلي لتخصصات المربع، ومجالات العمل والوظائف التي سيمتهنها الطالب المتخرج.

أما الفصل الخامس «هكذا أنت وهكذا يفكر الآخرون»، فهو خلاصة ما يرمي إليه الكتاب وأهم تطبيقاته من بين أطروحات وفرضيات نظرية.

قصة

كأس الشاي

أفونسو بوتليو

ترجمة: وفيق فايق كريشات

اللاذقية - سورية

منذ زمن ليس ببعيد، كان الناس يقطعون بعض مراحل الرحلة من أبورتو إلى رغوا بالحافلة، وبعضها بالقطار بحسب التضاريس.

وقفت الحافلة، التي تجرها ستة من الخيول القوية، في موقف المغادرة من مكاتب شركة الحافلات بأبورتو، بانتظار الركاب المتخلفين. وبين هرج المحتشدين حول الحافلة ومرجهم، تعالت أصوات المسافرين بالشكوى من عدم الاهتداء إلى الأماكن التي حجزوها، أو فقدان أمتعتهم. وفي الفينة بعد الفينة تندّ شتيمة من هذا الحمال وأخرى من ذاك.

وفي موضع قريب من باب الحافلة، جلس شاب مرتب متاعه، مما يوحي بأنه بكّر في أخذ مكانه. وامتلأت المقاعد كلها بأصحابها إلا واحداً في قبالته؛ وتبيّن أنه محجوز لمسافر لم يصل في الوقت المعيّن. جمع السائق الأعنة، وشرع الحارس يصفر صافرة المغادرة.

وظهر بغتة عند المنعطف شيء غريب - رجل بدين يمشي مشية البطة، ويتنفس بمشقة، ويلوّح نحو الحافلة بمظلة كبيرة، ومن خلفه كان يحمل له المتاع حمالان.

رفُع المتاع، وصعد المسافر البدين بعد أن أسمعه الحارس شيئاً من غليظ الكلام، واتجه نحو المعقد الخاوي، ثم انهمك في البحث عن موضع لمظلته ومعطفه المطري الكبير حتى وجده بعد لأي.

انطلقت الخيل في شوارع أبورتو المرصوفة صوب طريق محطة القطار القائمة على سكة حديد مينيودورو. ظهرت على المسافر البدين أمارات لانزعاج مكبوت. فقد أخذ يغمغم نافد الصبر، ويتقلقل في مقعده حتى التفت إليه جواو دسوزا الشاب الجالس قبالته:

«إنه لمؤسف يا سيدي» قال شاكياً، «تخّيل: لم أستطع أن أشرب كأس الشاي!»

لم يرد جواو دسوزا جواباً، بيد أنه نظر نظرة مستفهم إلى البدين الذي استأنف كلامه قائلاً: «تعلم أن من عوائد شرب كأس من الشاي بعد الغداء، كأس من الشاي سوداء قابضة، ولا شيء سوى ذلك. لقد عجلت لألحق بالحافلة فلم أمكث للشرب، لا أدري كيف أشرح لك مصابي بفقده، إن عوائد المرء أكبر ما يهمه حينما يبلغ هذه السن، وإنه لمن المهول حقاً أن يترك عادة منها. وإنني لأعلم كم سأقاسي في هذا السفر من سوء الحال، إذا لم أتناول كأس الشاي. لا تزال يا سيدي شاباً، فإليك نصيحة رجل منتظم العوائد: إذا تعودت عادة راسخة فلا تدع سبيلاً لما يصدك عنها».

انفرجت أسارير جواو دسوزا، وقال: «لا تأسَ، إن محطة القطار أمامنا، وفي المطعم هناك سيمكنك تناول الشاي».

«حقاً تقول! لم يخطر هذا لي ببال! سيطول الزمن بين ذلك وبين غدائي، ولكن يعزّيني أن أحظى بمشروب».

وصل القطار إلى رصيف الركاب بوصول الحافلة

إلى المحطة، وهرع الجميع إلى المطعم؛ للتزود لرحلة القطار، فتناول بعضهم كأساً من الشراب وشيئاً من الخبز والفاكهة، وحمل بعضهم الطعام إلى القطار.

جلس البدين إلى جانب إحدى الطاولات، وراح يقلب طرفه بحثاً عن أحد الخدم، كان الخدم قليلين، ولم يفلح في جعل أحدهم يلتفت إليه حتى انقضى وقت طويل. وإذ همّ أن يصف للخادم الشاي الذي يريد، انصرف الخادم مشغولاً يلبي الآخرين. لكن في خاتمة الأمر، وحينما كان جواو دسوزا يخرج لأخذ مكانه في القطار رأى البدين يتأهب للالتذاذ بمشروبه الأثير.

وفجأة أقبل البدين يعدو، وصعد إلى القطار والصافرة تدوي، جلس قبالة جواو دسوزا ومسح وجهه بمنديل حريري له بريق.

ثم ابتسم لجواو دسوزا.

«ولدي العزيز، لقد جاءني الخادم بكأس من الشاي الأخضر، وأنا لا أشرب ذلك النوع من الشاي البتة!»

ومضى القطار وسط الجبال البديعة، واجتاز القرى والسواقي الصغيرة، ثم أخذ الليل يرخي سدوله، وتوارت الشمس غاربة وراء الهضاب. لم ير المسافر البدين من جمال المنظر شيئاً، بل تثاءب وغمغم مكتوم النفس ضائقاً به ذرعاً، وسمع دسوزا تأوهاً جاءت عقبه كلمة «شاي» فقال:

«عما قريب تستطيع شرب كأس من الشاي».

«أين؟»

«في كايبيده نترك القطار ونركب الحافلة مرة أخرى».

«آه، الأمر إذاً هكذا! لم يخطر هذا لي ببال. فشكراً لك لتذكيري به، سأحتسي الشاي في النزل الذي منه تنطلق الحافلة».

وأخذ المسافر البدين يغني قانعاً متخافتاً في غنائه حتى غط في نوم عميق من هدهدة القطار، ولم يفتح عينيه حتى هزه جواو دسوزا برفق.

«ما الأمر؟ أين نحن؟»

«نحن في كايبيده، وهنا ننزل لنركب الحافلة».

«كم أنت لطيف يا سيدي»، وشرع البدين يجمع متاعه.

وقفت أمام النزل حافلتان، وجهة إحداهما ڤيلا ريال، وأما الأخرى فوجهتها رغوا. مر جواو دسوزا - في ذهابه إلى الحافلتين - بالمطعم فرأى المسافر البدين يجادل أحد الخدم بحدة، فتوقف يسائله عن وجهته: أهي رغوا أم



ڤيلا ريال؟.

«أنا ذاهب إلى رغوا. انظر! ياللأمر الفظيع! لا أقدر على تناول كأس الشاي».

«ياللأمر الجلل»، قالها الشاب مهتماً.

«جلل! أنت صادق عندي، ما هذا بين المطاعم؟ ليس في هذا المكان ورقة من الشاي الأسود!»

«من فضلكم، ليأخذ كل المسافرين إلى رغوا أماكنهم» نادى الحارس. رجل هيئته هيئة الموظفين العالية منزلتهم، ولباسه أثواب عتيقة من لباس العاملين بمحطة الحافلات.

ومن جديد جلس المسافر البدين قبالة جواو دسوزا.

«وخاب إذاً أملك يا سيدي مرة أخرى؟»

«لا تذكر ذلك، حقاً إنه لمؤلم، يا لهذه الرحلة من دون كأس الشاي!»

«لا تأس، لك في أمارانته فرصة أخرى حين نستبدل الخيول».

«أوه، كم يسرني هذا! يالطيبتك يا سيدي».

وانجرت الحافلة على دروب الريف، ومع كل القلقلة والجلبة نام المسافرون أجمعين إلا جواو دسوزا ظل منتبهاً ينظر إلى الطريق الريفية في ضوء القمر: الأشجار، والأسوجة، وأضواء منازل القرية على سفح التل. وبلغوا جسر أمارانته العتيق الغارق أصله في ضباب الماضي. ووصلت الحافلة إلى الشارع المرصوف الضيق، وتوقفت خارج نُزل كاپاديرا القديم المعروف.

كان يعبق بصالة النزل دخان التبغ ورائحة الشوكولا. تقدم الخادم يدل المسافرين على مقاعدهم، وبادر بتقديم العشاء الفاخر لهم. استطاب جواو دسوزا العشاء. ثم جال ببصره فرأى المسافر البدين جالساً إلى ركن طاولة يترقب - قلقاً - منتظراً فرصة للتحدث مع الخادم.

«أيها الخادم، أريد كأساً من الشاي سوداء قابضة، اذكر ذلك، فلن يغني عنه شيء آخر».

«في لحظة يا سيدي، أقدم العشاء ثم آتيك بالشاي، ماذا تريد أن تتعشى يا سيدي؟»

لا أستطيع أن آكل شيئاً ما لم أشرب الشاي».

ومضى الخادم يقدم أطباق الدجاج، وغير ذلك من ألوان الطعام الفاخر، وتنوقلت زجاجات الشراب اللذيذ بمرح حول الطاولة، أما المسافر البدين فجلس ينتظر نافد الصبر إلى أن نودي بغتة بأن الحافلة ستنطلق بعد خمس دقائق. وقع هرج ومرج عظيمان، واندفع الجميع يأخذون أماكنهم في الحافلة، وسمع جواو دسوزا المسافر البدين يقول بصوت لا يوحي بالسرور: «والشاي أيها الخادم، ماذا عن الشاي؟»

«في لحظة يا سيدي»

وجلس المسافرون كلهم في مقاعدهم ما خلا البدين الذي وقف عند باب النزل نافد الصبر.

كانت، الطريق في بعض مراحلها تصعد جبلاً،



فربط إلى الحافلة اثنا عشر من الثيران القوية، غطيت رؤوسها بأغطية حمراء، وعلقت بها أجراس برونزية، نادى الحارس المسافر البدين: «من فضلك يا سيدي، إلى مقعدك، لا أستطيع الانتظار أكثر من هذا».

وفجأة أقبل الخادم يجري حاملاً صينية عليها كأس من الشاي تغلي. كان المسافر البدين قد وضع رجلاً على عتبة الحافلة، ولكنه صاح مسروراً وتناول الكأس ورفعها إلى فمه، إلا أنه ما لبث أن صرخ متألماً ورد الكأس إلى الصينية.

«أيها الخادم، من المحال شرب هذا الشاي؛ إنه حار جداً، لم جلبته هكذا والحافلة على أهبة المسير؟» وصعد إلى قبالة جواو دسوزا وقد اغرورقت عيناه بالدموع ألماً وغيظاً.

انقضت خمس ساعات والحافلة تصعد التل بتؤدة مع قوة الثيران التي تجرها، ووقع الرذاذ على الأشجار العتيقة الكبيرة المنتصبة على جانبي الطريق الجبلية، وصفرت الريح خلال أغصانها، وفي موضع من الطريق بعد موضع انسابت نحو نهر دورو العظيم سواق صغيرة نشأت من ثلوج الجبل الذائبة.

سار الحارس إلى جانب قائد الثيران يحثها على المسير، ونام المسافرون جميعاً إلا جواو دسوزا.

اجتازوا في طريقهم بيتاً حجرياً ألقى القمر على سقفه ظلالاً موحشة، وفي منطقة أخرى أكثر ارتفاعاً، مروا بكوخ صغير تعلقت فوقه رجمة كبيرة من الصخور توشك أن تسقط. وأخذت الدرب تضيق وهي تقترب من القمة وطلعت الشمس، وغمرت الجبل بألوان زاهية شتى - من أرجواني ووردي وأصفر، توقفت الحافلة عند نزل قرب قرية كوينتلا، ونزل المسافرون المستيقظون ليتمطوا في هواء الصباح النقي.

تمشى جواو دسوزا على الطريق مأخوذاً بجمال المنظر، كانت القمم تترى واحدة إثر أخرى على مد النظر، وفي الأسفل التمع حوض من الماء واسع، وأحاط بمشهد هذه الصورة الجميلة إطار من الأشجار العظيمة، وعندما توقف الشاب ليسترد أنفاسه سعيداً، سمع وقع خطا وئيدة تقترب منه، وتناهى إليه عن قرب صوت تثاؤب، تبسم جواو دسوزا من مرأى المسافر البدين الذي بدا كأنه مازال نائماً؛ كان منظره يشوب جمال الفجر الجديد.

«كيف أصبحت يا سيدي؟ وماذا عن الشاي؟»

أواه يا فتاي العزيز، أصدقك القول: إنني فقدت كل أمل فيه، ليس في ذلك النزل الفقير شاي؛ قالوا إن هذا الشيء لا يطلب منهم».

جهزت الخيول للمسير، وأطلق الحارس إشارة البدء، وانحدروا يتركون سفح الجبل مسرعين، ومن فورهم صاروا بين الأشجار الكثيفة، ومن ورائها أشجار الفاكهة، ثم أخذت تحيط بهم كروم العنب المتعرشة على ضفاف الدورو. مضوا على ضفة ذلك النهر العظيم أميالاً كثيرة، ثم أخذت المنازل تكثر حولهم مرحلة بعد أخرى حتى دخلوا شوارع رغوا البيضاء، وكانت الساعة قد بلغت الثامنة والنصف، وهي ساعة الفطور.

وإذ قد توقفت الحافلة عند الفندق، المبنى الأنيق ذي الستائر الخشبية الخضراء، التفت المسافر البدين إلى جواو دسوزا مبتسماً، سيدي، أشكر لك لطفك، فلولا صحبتك الممتعة لكانت رحلتي مريعة. لا أعرف كيف أشرح لك كم عانيت لحرماني كأس الشاي، إنه لمن الخطأ أن يترك المرء في سن كسني عادة تعودها، سيدي، فخذها نصيحة: لا تدع شيئاً - كائناً ما يكون - يحول بينك وبين عادة تعودتها إن كانت حسنة، سأتناول كأس الشاي أخيراً. حقاً إنه لمتأخر عن وقته، لكن شربه على أية حال خير من تركه.

سيدي، ائذن لي أن أعرفك بنفسي أنا بارنابه دوس أنجوس من أهل بلدة فريشو داسبادا أسينتا ذاهب إلى دورو في عمل، أتمنى لك حظاً طيباً، وسفراً آمناً، سأذهب الآن، يا صديقي الشاب العزيز، لأشرب في صحتك كأساً من الشاي.

أخبار

كرسي الملك فهد بجامعة الخليج لعالم ألماني

خصصت جامعة الخليج العربي الكرسي الأكاديمي لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز – رحمه الله – في مجال التقنية الحيوية للبروفسور الألماني فولكر، من جامعة هيدليبرك الألمانية.

وقالت الدكتورة رفيعة غباش – رئيسة الجامعة –: إن البروفسور فولكر نال الكرسي الأكاديمي للملك فهد لجهده الكبير، وإضافته العلمية في التقنية الحيوية، والبحوث العلمية المتعلقة بها. وكان الدكتور فولكر قد ألقى محاضرة في الجامعة أشار فيها إلى أن سرطان الثدي أصاب ٥٠٠ ألف امرأة حول العالم بين عامي ٢٠٠٥م و٢٠٠٧م، منهن من توفين متأثرات بمضاعفات المرض، مشيراً إلى أن سرطان الثدي يأتي على رأس هرم أكثر الأمراض المسببة للوفاة بين النساء، وتصاب به امرأة من بين كل ٨ نساء.

المركز الوطني للتعلم الإلكتروني يعقد حلقة عن التعاون بين الجامعات

افتتح معالي د. خالد بن محمد العنقري – وزير التعليم العالي – حلقة النقاش الرابعة التي نظمها المركز الوطني للتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد من ٢٤ إلى ٢٥ ذي القعدة سنة ١٤٢٨هـ/ ٤ إلى ٥ ديسمبر عام ٢٠٠٧ م في مدينة الرياض، بعنوان: (صناعة التعلم الإلكتروني في مؤسسات التعليم الجامعي بالمملكة العربية السعودية).

وقال وزير التعليم العالي في كلمته: إن هذه الحلقة تناقش تحديدًا ترسيخ التعاون بين المركز ومؤسسات التعليم الجامعي، مشيرًا إلى أن المركز الوطني للتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد مبادرة تبنتها الوزارة، انسجامًا مع الخطة الوطنية للاتصالات وتقنية المعلومات، التي يدعمها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد – حفظهما الله.

وأكد الدكتور محمد بن عبدالعزيز العوهلي – وكيل الوزارة للشؤون التعليمية – في كلمته التوجه نحو ترسيخ التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد وأنه لم يعد ترفًا، بقدر ما هو خيار أساسي، بل إستراتيجي أيضًا. وشكر د. عبدالله المقرن – المستشار بوزارة التعليم العالي، ومدير المركز الوطني للتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد – في كلمته للقيادة الرشيدة دعمها مبادرة الوزارة بتأسيس المركز الوطني.

وقد دشن وزير التعليم العالي ستة مشروعات للمركز تهدف إلى دعم التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد في مؤسسات التعليم الجامعي، وهي: مبادرة تجسير للتعلم الإلكتروني، ونظام جسور لإدارة التعلم الإلكتروني، والبوابة التعليمية، والمستودع الوطني للوحدات التعليمية، وخدمة تيسير التعلّم الإلكتروني، وجائزة التميز في التعلم الإلكتروني الجامعي.

وأوضح الدكتور عبدالله المقرن أن نظام جسور لإدارة التعلم الإلكتروني، تم البدء بتطبيقه في العام الدراسي الحالي، بمبادرة من وزارة التعليم العالي، وتنسيق مع جامعة الملك سعود، التي وقعت موخرًا اتفاقية تفاهم مع المركز، ويستفيد من خدمات النظام نحو ٢٨٠٠ طالب وطالبة.



تعاون سعودي بريطاني للمحافظة على التراث

تم في العاصمة البريطانية لندن في الأول من ذي الحجة سنة ١٤٢٨هـ الموافق ١١ ديسمبر عام ٢٠٠٧م، توقيع مذكرة تعاون بين مؤسسة التراث السعودية ومؤسسة الأمير تشارلز للبيئة الحضرية، ومدرسة الأمير تشارلز للفنون التقليدية، وذلك بحضور صاحب السمو الملكي الأمير تشارلز أمير ويلز ولي عهد بريطانيا وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز - الأمين العام للهيئة العليا للسياحة رئيس مؤسسة التراث - وصاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نواف - سفير خادم الحرمين الشريفين لدى المملكة المتحدة وإيرلندا - وصاحب السمو الملكي الأمير منصور بن محمد بن نواف.

وقد أشار صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان إلى أهمية الاتفاقية، التي تأتي في إطار التعاون مع المؤسسات العالمية المتخصصة، مؤكداً أنها تدعم مبدأ الشراكة والتعاون، مستعرضًا ملامح من التراث العمراني السعودي، وجهود المحافظة عليه.

وقال المتحدث باسم قصر ولي العهد البريطاني: إن هذه الاتفاقية ستعزز التعاون الثقافي المتميز بين الجانبين خصوصًا في الفنون التقليدية، والفنون المعمارية، وأنماط البيئة الحضرية المستديمة، وأكد أن الاتفاقية ستبني للعلاقات الوثيقة بين المؤسسات الموقعة عليها خصوصاً أن مؤسسة الأمير تشارلز للفنون لديها اهتمام واسع بالفنون الإسلامية والمعمارية العربية.

وقع الاتفاقية الدكتور زاهر بن عبدالرحمن عثمان - المدير العام لمؤسسة التراث -، وهانك ديتمار - مدير مؤسسة الأمير تشارلز للبيئة الحضرية - وخالد عزام - مدير مدرسة الأمير تشارلز للفنون التقليدية.



القاهرة الأخرى في رواية «عزبة شلبي - المطرية»

صدرت للشاعر الناقد عبدالله السمطي روايته الأولى بعنوان: «عزبة شلبي – المطرية»، وقد جاء عنوان الجزء الأول منها «رحلة إبراهيم». ويكشف السمطي في هذه الرواية عن القاهرة المنسية التي تضم الطبقات الدنيا، الممثلة لجوهر المجتمع المصري الشعبي التحتي، التي تختلف قاهرة نجيب محفوظ الشعبية السياحية، وقاهرة جمال الغيطاني الأثرية والتاريخية؛ لأنه يتناول القاهرة التي تشكلت في الأطراف، وفي العمق من خلال رصد حالات هجرة القادمين من الأرياف والأقاليم واستيطانهم بالقاهرة، ومواجهتهم تحديات الحياة الصعبة بها.

وشخصيات الرواية بسيطة ومهمشة، ومنبوذة، ومع ذلك فهي تحمل قدرًا كبيرًا من السمو الإنساني، والفرح بالحياة جنباً إلى جنب مع معايشة الألم والعذاب الإنساني، وقد مكنتها هذه السمات من الصعود التدريجي في سلم الحياة الاجتماعية. وصدرت الرواية عن دار السمطي للطبع والنشر والإعلام بالقاهرة عام ٢٠٠٧م.

الحروفية

سجال مفتوح بين الخطاط والتشكيلي

محمود أحمد شاهين
دمشق - سورية

مع أواخر القرن التاسع عشر، ومطالع القرن العشرين، اجتاحت شعوب العالم، موجة البحث عن الهوية المحلية وتأكيدها في الثقافة والأدب والفنون، ومن بين هذه الأمم، أمتنا العربية، التي عانت من الاستعمار القديم والحديث، ولا تزال تعاني من مخلفاته، وتحدياته، وأشكاله الأشد خبثاً وخطراً.

ولتأكيد هذه الهوية في الأثر الفني التشكيلي الحديث، وجد الفنان العربي المعاصر نفسه أمام خيارين رئيسين: فإما أن يحقق هذه الهويّة عبر الموضوعات، والمضامين، والملامح الإنسانية العربية الخاصة، وإما عبر معطيات تراثية عربية إسلامية محددة، تجلت في أكثر من منحنى واتجاه، لعل أبرزها وأهمها: القدرات التشكيلية، والتعبيرية المتميزة للحرف العربي، إضافة إلى المعطيات الزخرفية التي كثيراً ما اقترنت به، وتكاملت معه، وهكذا ولد اتجاه فني تشكيلي عربي معاصر، قائم بذاته، اصطلح على تسميته بـ (الحروفية)، يغطي الآن جميع الحيوات التشكيلية العربية المعاصرة، بإيقاعات متفاوتة الحضور والفعل، متلونة الشكل الصياغة، يشتغل عليه اليوم عدد لا بأس به من الفنانين التشكيليين العرب، الأكاديميين والهواة، وكلهم يرفعون يافطة أساسية تتلخص في العمل على خلق أثر فني تشكيلي جديد، يوفق بين عصر انتهكته الخروقات التقانية الهائلة، وتراث عريق، اختلفت النظرة إليه وتعددت، لكن الجميع أقرَّ، بأهمية التمسك به وضرورته، خصوصاً في هذا العصر الذي تعمل فيه عدة جهات لاقتلاعه وإلغائه، ليس في بلادنا العربية فحسب، وإنما في كل البلدان المالكة لمثل هذا التراث المشكل لهويتها وخصائصها ومقومات تفردها، وتمهيداً لسيادة «العولمة» واجتياحها للشعوب والأمم كافة؛ بهدف تحويل الإنسان المعاصر، إلى متلق يملك جاهزية دائمة للتحرك وفق توجيهات المستغلين ومصالحهم.

وجهتا نظر في الحروفية

اختلفت النظرة إلى الحروفية وتعددت، عند الخطاطين، والفنانين التشكيليين العرب. بعضهم رحب بها وشجعها وعدّها الطريق الأمثل لتحقيق مقولة: «التراث والمعاصرة»، التي تحولت إلى هم وإشكاليّة، ليس لدى التشكيليين فحسب، بل ولدى كل المتعاملين مع ألوان الإبداع وأجناسه المختلفة، من رواية، وقصة، ومسرح، وموسيقا.. إلخ.

في الجهة المقابلة، اجتهد بعضهم الآخر، في طرح بدائل وسبل أخرى كثيرة تؤدي إلى الغاية والهدف نفسيهما، خارج إطار الحروفية. وهكذا تنامت هذه الإشكاليّة وتضخمت في الإبداع العربي المعاصر، مع تنامي الاختلاف، في نظرة أهل الإبداع إلى التراث ومقوماته، وحقيقته، وضرورته (أو عدمها)، لكن هذا لم يمنعهم من متابعة التجريب والبحث، كل وفق قناعاته، وبالقدرات التي تمنحه إياها الوسيلة الإبداعية التي يشتغل عليها، ومع ورود نتائج هذه المتابعات والتجارب وغلالها إلى ساحة الإبداع العربي المعاصر، كثرت التنظيرات والتحليلات والدراسات حولها.

بعضها بارك وأثنى وشجع، وبعضها استقبلها بحذر وريبة وتردد، وبعضها الآخر، سفّه واستهجن، ومع ذلك، استمرت مسيرة الإبداع العربي المعاصر، واستمرت عمليات التنظير والتحليل، الإيجابية منها والسلبيّة، المرحبة والمستهجنة، لنجد أنفسنا أمام إشكاليّة واحدة، يحملها المنتوج الإبداعي العملي، كما تحملها تداعياته النظرية!!.

نحن هنا، معنيون بجانب من هذا المنتوج، هو: (الحروفية العربية وتجاربها) في التشكيل العربي المعاصر، التي مع اتساعها وانتشارها وتناميها الدائم، إلا أنها لم تلق حتى الآن، ما يكفي من الدراسة والاهتمام والتحليل اللائق بصخبها، وتنوعها، والمواقف المتباينة منها، سواء من

الفنانين التشكيليين العرب بعامة، أو الفنانين المشتغلين عليها بخاصة، أو من قبل المبدعين في حقول أخرى، حتى من قبل الناس العاديين المهتمين بما يجري حولهم، إضافة إلى المواقف المتباينة والصدامية، بين (الحروفيين)، و(الخطاطين).

مدرسة وحيدة

وبحثنا هذا، إطلالة شاملة على هذا العالم وما يدور فيه من حوار ونقاش، عالي النبرة، أو هامسها، إيجابي أو سلبي، تتوجها نتائج واستنتاجات نأمل أن تشكل نواة أو معبراً، لرحلة بحث، وتوثيق، وتأريخ أوسع وأشمل، لهذه المدرسة الفنيّة التشكيلية العربيّة اليد واللسان، وهي المدرسة الوحيدة التي كان لنا - نحن العرب - فضل تكوينها وإطلاقها، في زحمة المدارس والتيارات التي جاءتنا - ولا تزال - من الغرب، بكثافة وسرعة قياسيّة، صابغة حياتنا الثقافيّة بصبغتها، وملونة فنوننا المعاصرة بألوانها، ولعل هذا ما دفع كثيراً عن فنانينا التشكيليين إلى التململ، والبحث عن الصوت المميز، الذي يؤكد أصالة أمتهم، وغنى التراث الذي تنهض عليه. هذا التراث الذي نبههم إليه - من دون قصد - الفنان الغربي، عندما وجدوه مشدوداً إلى تراثهم، وعازفاً عن تراثه وفنونه التي رواحت موضوعاتها حول الدين، واستلهام القديم من التراث الإغريقي والروماني، ولفترات طويلة، وخصوصاً عصر النهضة.

من جانب آخر، شكلت ظاهرة الاستشراق، التي نشطت بعد ترجمة كتاب ألف ليلة وليلة إلى اللغات الأوربية وما رافقها من رسوم توضيحية تزيينية، ساهم بوضعها مئات الرسامين والمصورين والحفارين، ثم انتقل هذا التأثير ليشمل بقية الفنون البصريّة المرئيّة، كالرسوم المتحركة، والسينما، والتلفاز، والفنون التطبيقيّة، وغيرها.

الاستشراق محرضاً

لقد شكّلت ظاهرة الاستشراق محرضاً آخر، دفع الفنانين التشكيليين العرب المعاصرين، إلى البحث عن التفرد والتمايز، من أجل هذا، تحاول عدة تجارب تشكيليّة عربية هذه الأيام، إعلان انتماء واضح للبيئة المحلية، والموروث البعيد والقريب للأمة، والحروفيّة واحدة من الخيارات الرئيسة أمام هذا الفنان، لتأكيد الهُويّة المحليّة في فنه التشكيلي الحديث، خصوصاً بعد أن وجد في الحرف العربي، قدرات تشكيلية وتعبيرية مطواعة، كانت مجالاً رحباً لإبداعات من سبقوه من الفنانين، والحرفيين، والخطاطين، والنقاشين، والوراقين

الحروفية جمال أم تشويه للخط العربي؟





العرب والمسلمين، خلال عصورهم المختلفة. وهذا ما يطمح إليه الفنان العربي المعاصر، المشتغل على هذا الاتجاه الفني الذي تنوعت صيغه، واختلفت مسوغاته، وتعددت نظرة العاملين في حقله وآراؤهم. حول قدراته، وإمكاناته على تحقيق المعادلة - الهم، وهي التوفيق والمواءمة، بين (التراث والمعاصرة).

فالخط العربي برأي الخطاطين، يمثل عظمة التراث الفني الذي خلفه العرب والمسلمون، ليس في بلادنا العربية فحسب، بل في كل بلدان الإسلام المنتشرة في آسيا وأوربا وإفريقية، وأصقاع أخرى كثيرة من العالم، حتى أصبح هذا الفن التجريدي العربي الخالص، علامة مميزة للحضارة العربيّة، لكنهم يتحسرون على واقعه الحالي، إذ يُعامل معاملة الغريب على أرضه، يتعامل معه كثير من الفنانين المستغربين، بوصفه فناً زخرفياً، يتم مسحه وتكسير أصوله، في لوحات من يطلقون على أنفسهم بالحروفيين.

فالخط الذي يستخدم الآن في اللوحات التشكيلية، أقرب إلى الفن التشكيلي، ولا يتبع القواعد المعروفة للخط، إنما يستفاد من جمالياته الشكلية في اللوحة، وفي معظم الأحيان تكون استخداماته زخرفية بحتة [١].

غربة الخط العربي

بل لقد ذهب بعضهم إلى التأكيد صراحة، أن ملامح الغربة طيف يلازم الخط العربي، على الرغم من أنه يعد جزءاً لا يتجزأ منا، وعلى الرغم من المحاولات المتكررة لحمايته من براثن الغربة، التي يكاد أن يقع بها؛ نتيجة لتجاهل الجميع له. ومن أجل هذا، يعلن هؤلاء صراحة، أنه لا يحق للتشكيليين تغيير شكل الحرف بشكل يفقده معناه وذاته، إضافة إلى شكله، حيث يعد هؤلاء الخطاطون[٢] أن هذا تدخلاً في تخصصهم، وبشكل مشين، فالخط لا يتطور، وإنما يُقلد، خاصة أن هناك مقاييس ومعايير لا أحد يستطيع تجاوزها فيما يخص شكل الحرف وحجمه، وإلاّ فقد الخط صفته.

شكّلت ظاهرة الاستشراق محرضاً، دفع الفنانين التشكيليين العرب المعاصرين، إلى البحث عن التفرد والتمايز

وهنا يثيرون تجاهل الإعلام لهم (للخطاطين)، في حين أنه يسلط الضوء على الفن التشكيلي. ويعزون هذه الحالة، إلى عدم الوعي بأهمية الخط، بينما يلاقي كل الاهتمام من الغرب [٣].

ويشير بعضهم[٤] إلى أن الخط العربي يتميز بالأصالة والنقاء عن بقية الفنون الأخرى، وهذا ما ساعد على تأسيسه تأسيساً جيداً، من الناحية الشكلية، وعلى جعله أصفى الفنون العربية، وهناك قليل جداً من الفنانين، استطاع أن يستوعب الداخل الفني للخط العربي، لذلك جاءت اللوحة الحروفية التي كانت نتيجة للمزاوجة بين الخط العربي والفنون التشكيلية المعاصرة هجينة. والواقع إن ما أعطته اللوحة الحروفية ضئيلاً جداً، وهذا ما يفسر لنا انحسارها بعد عشرين سنة من الممارسة، وتواضع ما أعطته للفن العربي.

ويثير بعضهم [٥] مسألة أن الخطاط في نظر بعض التشكيليين ليس تشكيلياً؛ لأنه لا يملك امتياز التطوير، أو هو غير قادر عليه، ولذا فهو ليس فناناً تشكيلياً، وفي الوقت نفسه، يبيح التشكيلي لنفسه أن يستخدم خط الخطاطين في لوحته التشكيلية، في حين يصر الخطاط على أنه فنان تشكيلي، فيقبله التشكيلي - أحياناً - على مضض، والفنانون الممارسون الفن التشكيلي، ليس من حقهم أن يبعدوا الخطاطين أو غيرهم، من



الألوان ... ماذا أضافت للخط العربي؟

حقل الفن بشكل عام، فمثل هذا الإبعاد هو من مهمة النقاد والباحثين في مجال الفن. ويؤكدون أن الخط العربي بأنواعه المختلفة، يعد فناً تشكيلياً منذ العصور القديمة، وعلى أساس أن الفنانين التشكيليين حالياً، يتسخدمون أجزاء من أحد أنواع الخطوط لتكوين لوحة تشكيلية، فكيف يكون الجزء تشكيلياً والكل خطاً كلاسيكياً؟!

ويثير عدد كبير من الخطاطين جملة من المخاوف والشكوك، حول ما يتعرض له الخط العربي حالياً من تشويه الأجهزة الحديثة له، خصوصاً الكمبيوتر والمطابع، وهذا يعني فقدانه - وبالتدريج - قواعده وأصوله، وتالياً، ضياعه وتشويهه.

فقد عانى الخط العربي[٦] من التشويه رضوخاً لظروف الآلة الجديدة، التي صممت في الأصل لطباعة الكتابة اللاتينية. ومسألة الطباعة وعلاقتها بالخط العربي مسألة دقيقة لم يتعرض لها إلا القليلون، وعلاقة الحروف الطباعية بالعرب علاقة مهزوزة، ذلك أنه لم يبادر أي من الخطاطين العرب، على مدى ما يربو على القرنين من بداية الطباعة، إلى العمل في هذا المجال، وأغلب مصممي حروف الطباعة الأوائل كانوا من الهنود، والرومان، والفرس، والهولنديين، ولم يتدخل عربي واحد لتصميم حروف أمته!!

وأصول هذه الإشكالية ترجع إلى وضع العالم الإسلامي في أثناء الحكم العثماني، وتعنته في وجه حركات التجديد، أو ربما يعود السبب في ذلك، إلى زهد الخطاطين العرب الذين كانوا ينكبون على كتابة الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة بأيديهم؛ لإيمانهم بأنها ضرب من التقوى، ولهذا تعطل تصميم الحرف العربي إلى عام ١٧٩٠م، عندما بادر أول عربي هو عبدالله زاخر من لبنان للقيام بذلك.

إرضاء الآلة

إن اللغة العربية من اللغات الموصولة في كتابتها، وهناك ١٦٠٠ شكل للحروف العربية، ولم يتمكن العرب من تطويع هذا الكم الهائل من الأشكال على آلة صُممت أصلاً لكتابة الحروف اللاتينية، ومن هنا بدأ المسعى إلى تقليص عدد أشكال الحروف العربية؛ لإرضاء الآلة المبتكرة، وبالطبع فإن الأجنبي لم يكترث لهذا التقليص.

والمعضلة الآن تكمن في أن أجهزة الكمبيوتر تشوه كثيراً من جماليات الخط العربي، فالخطوط الموجودة حالياً هي خطوط مشوهة؛ لأن الآلة المصممة لم تصمم لتناسب طبيعة الحرف العربي، كما أن الكتابة بالكمبيوتر تعتمد على سطر واحد أفقي، لا يمكن الحرف العربي من التحرك فيه إلاّ



إلى فوق أو أسفل، والمعضلة الأساسية أن الخط العربي يتطلب تصميم أجهزة قادرة على استيعاب كتابة الحرف العربي في أكثر من مستوى واتجاه.

ويؤكد الخطاطون المعاصرون أن الكمبيوتر تسبب في إفساد عدد من الخطوط العربية الشائعة، مثل: خط النسخ، والخط الكوفي، وعدد آخر من الحروف، مثل: حروف الثلث، والديواني.

وهذه الخطوط العربية بعد برمجتها وإطلاقها أسماء عليها، فقدت التنوع، والرقة، والفن، والأصالة، والتميز، فالأحجام المتساوية، والارتفاعات الثابتة، أهدرت النسب

الخط العربي برأي الخطاطين، يمثل عظمة التراث الفني الذي خلفه العرب والمسلمون، ليس في بلادنا العربية فحسب، بل في كل بلدان الإسلام

الخاصة بالحروف العربية، وأفقدتها عنصر التوازن، وتحولت الحروف الأفقية إلى حروف عرضية وسميكة، والرأسية أصبحت رفيعة وقصيرة، أما الفاء والقاف فأصبحتا بلا رقبة، وأما الباء المتصلة، فهي مشكلة، وهذه الأنواع من الخط يطلق عليها النسخ المطور، أو خط بيروت.

وإذا كانت برمجة الحروف العربية ضرورية لاختصار الوقت والجهد، فإن إهدار جمالياتها مسألة خطيرة، تتعلق بالهوية وبالتراث العربي، إذ أصبحت تلك الخطوط غير المتناسقة، هي السائدة في الصحف والمجلات العربية اليوم، كما أنها أصبحت النموذج العام المعروض للخط العربي.

ويؤكد بعضهم[٧] أنه مما يؤسف له، أن مصممي الحروف الطباعية العربية لم يكونوا عرباً، ولا علم لهم بالأبعاد الاجتماعية والدلالات الروحية للحروف العربية، والحرف عندنا له دلالات أدبية، وقد وصف محيي الدين بن عربي الحروف بأنها أمة من الأمم، والغربيون ليس عندهم مثل هذا ولا يعرفون تلك الأبعاد.

إن خطنا العربي[٨] رشيق وجميل ومنغم ومتنوع الإيقاع، أما عناوين صحفنا ومجلاتنا فهي عناوين غريبة وغليظة، وصحفنا ومجلاتنا العربية، أصبح لها اليوم الشكل نفسه، ولم تعد تتميز عن منافستها في هيئتها، وهذه الحروف الغليظة صممها من لا علاقة له بالخط العربي، ولعله كان يقصد أن يجعل الكتابة العربية تغلب الكتابة الإفرنجية في هندستها وامتدادها الأفقي، في شكل شرائط منتظمة، ولم يكن هذا المصمم يعلم أن الإيقاع الخاص للكتابة العربية، وأن موسيقاها المميزة، يكمنان في عكس ما قصد إليه في بنية الخط وتركيباته، وفي توازنه العام، وليس المباشر، لقد أدى الاستخدام الواسع لتلك الحروف أن أصبح شيوخ الخطاطين بلا عمل، سوى شراب القرفة، وهكذا أهدرنا ثروة كبرى بلا ثمن. من هنا علينا منح عقولنا بعض الحرية في اختيار ما يناسبنا وترك ما لا يناسبنا.

اندثار الخطوط العربية

آخرون [٩] يرون أن الخطر يكمن في اندثار عدد كبير من الخطوط العربية، والسبب هو اندثار الخطاطين أنفسهم، فالخط ليس مادة أساسية في المدارس، ومعاهد تحسين الخطوط قليلة جداً، وأصبح الكمبيوتر بديلاً للخطاطين، سواء في الصحف، أو المجلات، أو التلفاز، أو حتى في إعلانات الطرق ولافتات المحلات.

بعضهم الآخر[١٠] يرى ترك شركات الإنتاج الغربية تصمم شكل الحروف العربية وتحدد أنماطها نوعاً من التفريط في السيادة، ويرى أن الأنماط الجديدة من الحروف التي يزودنا بها الغرب تأتي مجافية لروح الخط العربي. وقد جرت محاولات لابتداع تقاليع من الحروف العربية تقليد اللاتينية، في إطار حملة تزعم أن اتصال الحروف العربية هو سبب تخلفنا عن الحضارة الحديثة. وقد رفض مجمع اللغة العربية تلك الطريقة في الكتابة؛ لأسباب متعددة منها أنها تفصلنا عن تاريخنا، لكون طريقة الكتابة جزءاً من هويتنا.

والخط العربي لا يعتمد على الأفقي أو الهندسي، وكذلك لا يجعل الحروف الرأسية عمودية، بل يجعلها مائلة، وكل هذا جزء من طبيعة العين الشرقية في الرؤية، كذلك فإن الفراغ داخل حروف مثل: م، ص، ق، لا. على سبيل المثال، جزء من شخصية الحرف العربي، وقد وضع وفق ميزان فني دقيق، من دونه تطمس شخصية الحرف العربي.

وبغض النظر عن المواقف المتباينة للخطاطين في عملية استخدام الخط العربي في إنجاز أثر فني تشكيلي عربي معاصر، فإننا أمام ظاهرة حقيقية هي الحروفية التي يشتغل عليها عدد كبير من التشكيليين العرب، أصبحت لهم تجاربهم المتفردة، شكلاً ومضموناً. قد يكون هذا التيار الفني الجديد، قد خف نشاطه اليوم، لكنه موجود ويتفاعل ويتعايش مع الاتجاهات الفنية البصرية الأخرى، في حيواتنا التشكيلية العربية المعاصرة، فما الذي نقرؤه في الحروفية العربية وتجاربها؟

أهم عناصر التشكيل

قبل كل شيء، لابد من التأكيد، أن الخط العربي يعد[١١] من أهم العناصر التشكيلية، لصفته الكامنة، التي تتيح له التعبير عن الحركة والكتلة، وليس المقصود هنا بالتعبير عن الحركة بمعناها المرتبط بأشياء متحركة، وإنما المقصود معناها الجمالي والتشكيلي، الذي يعني الحركة الذاتية، التي تجعل الخط يتراقص في رونق مستقل عن أي غرض آخر.

ومع أن المعنى الذي تحمله الكتابة العربية له أهميته البالغة، لكن الفنان يعتقد أن الوظيفة التشكيلية للخط هي أيضاً ذات أهمية بالغة، وأن المعنى الذي تحمله هذه الكتابة هو معنى كامن فيها، تتحقق به البركة التي ينشدها، بصرف النظر عن عدم إمكان قراءتها للوهلة الأولى. وإذا استعرضنا ما أنتجته الحضارة الإسلامية في العمارة والفنون التطبيقية، نجد أن النصوص الخطيّة أدت دوراً تشكيلياً، سواء أكان في الجص، أم الرخام، أم الحجر، أم المعادن، أم الزجاج، أم الخزف، أم النسيج، أم المخطوطات، حيث نراها متكاملة من الناحية التشكيلية مع الشكل العام، ومع أنواع الزخارف الأخرى، سواء أكانت هندسية أم نباتية.

البحث عن الهوية

ولما كان على الفنانين العرب المساهمة في تغذية تيار الفن التشكيلي العالمي، بروافد عربية أصيلة، من دون الذوبان

هناك ١٦٠٠ شكل للحروف العربية، ولم يتمكن العرب من تطويع هذا الكم على آلة صُممت لكتابة الحروف اللاتينية

الكامل في هذا التيار، كانت قضيتهم الأولى هي البحث عن الهوية العربية، والعمل على تأصيل الفن العربي الإسلامي؛ ليعبر عن قيم جمالية إسلامية، لها طابعها ومذاقها الخاص، لذا تبنى الفنانون العرب شعار (التراث والمعاصرة)، ومن هنا ظهر تيار استلهام الخط العربي، الذي رأى فيه بعضهم [١٢] فناً كبيراً في قلب الفنون التشكيلية، إذ اكتشف الفنان العربي أن وراء الحرف الواحد، أكثر من صوت ومعنى ولغة، أما موسيقا الخط بشكل خاص، فهي تلك التي اكتشفها الخطاطون الذين تحولوا في الممارسة الفنية لما اصطلح عليه (الحروفيون)، وهم جماعة مولعة بالخط العربي، تؤمن بالقيمة الجمالية والصوفية للحرف العربي، وتستعيره كبطل منقذ لمشكلات السطح، والتصوير المعاصر، وهذه الجماعة مرتبطة بتقاليد الخط العربي العريقة، وفي التأويل الشعبي والصوفي، يحكي عن تأثير الحرف في مصائر الناس.

فهناك من يرى [١٣] أن الحرف العربي يقوم على البعد الواحد، ويعني أن الوجود يتحقق بالعودة من الحجم إلى أصله الشكلي، ومن الشكل إلى أصله الخطي، وأن العالم الخارجي له طبيعة روحية، أي: إنه غير تصويري، وغير التصويري يعبر عن نفسه بالحرف. إنها رحلة معاكسة من الشجر إلى البذر، أو من الحجم إلى الحرف، وكأنها مروحة في يد امرأة جميلة تضمها فتختفي الرسوم والألوان في المقبض الشبيه بحرف الألف، أو تفتحها فيتحول الحرف إلى حدائق، وأزهار، وشموس مشرقة.

الخط الذي يستخدم الآن في اللوحات التشكيلية، أقرب إلى الفن التشكيلي، ولا يتبع القواعد المعروفة للخط

أعمال تراثية جمالية

والحقيقة، تحت خيمة الفن العربي الإسلامي، ينضوي كثير من الأعمال التراثية الجمالية في سياقها، تأتي في اللوحات الحروفية وغيرها، ولا يرتبط ذلك الفن بزمان أو مكان، بقدر ما يرتبط بإبداع فنانه الذي تنوعت، وتعددت أشكاله، وصيغه، وطرائق تعامله، واستخداماته الحرف العربي، في إنجاز لوحة معاصرة، كما تعددت آراء المشتغلين على هذا النوع من الإبداع البصري العربي الجديد. فبعضهم [١٤] أكد أن بالإمكان اتخاذ الحرف العربي موضوعاً للفن والجمال، خصوصاً إذا علمنا أن اللغة العربية هي واجهة لعمق الحضارة الإسلامية، واستخدام الحرف العربي في التشكيل الحديث بما يسمى بالحروفية، أو جماعة البعد الواحد، فالكتابة العربية تتمتع بجمال حرفها، سواء مفردة أو مركبة، وهي في الوقت نفسه، طيعة لأساليب الابتكار فيها، ومرنة في قبولها عمليات المد أو الاستدارة. وأصبح الفنان يعالجها في بحثه الدؤوب للوصول إلى غايات أسمى وأرحب، وللخط العربي دوره وأثره الواضح في إحياء القيمة الجمالية التشكيلية منذ أمد بعيد، وهو ليس مرآة تعكس العالم المرئي، بل هو عالم يحكمه منطق تشكيلي داخلي.

يرى بعضهم [١٥] أن الحروفية العربية بدأت مع جماعة البعد الواحد في العراق، فهم أول مدرسة حديثة اهتمت بإدخال الحرف في الفن التشكيلي، وقد تمكن هؤلاء من تطويع الحرف العربي فأبدعوا في توزيع الكتل اللونية، واستثمار فضاء اللوحة، فقدموا أعمالاً فنية أبهرتنا بتكنيكها العالي وانسجام اللون فيها.

بعضهم [١٦] استخدم الحرف العربي بصفته جزءاً لا يتجزأ من نسيج اللوحة، أو عنصراً أساسياً من عناصرها، حيث يغطي كامل مساحتها، ويتحاور مع التقطيعات الهندسية المدروسة بعناية فائقة، وهذا ما يحول اللوحة إلى دراسة عقلية وحسية رفيعة، لا تولي الاهتمام لمعنى الكلمة المستخدمة، وإنما لتشكيلها وقيمتها المجردة.

ويرى بعضهم الآخر [١٧] أن في الخط العربي عموماً،

توجد موسيقا عذبة، بل هناك في بعض اللوحات الحروفية الكلاسيكية ما يمكن تسميته بـ (سمفونية) موسيقية كلاسيكية، لكن يا للأسف فإن أغلبية التجارب الحروفية العربية أخذت من الخط مقاطع، معتمدة على المفهوم الغربي في بناء اللوحة، على العكس من ذلك، يرى بعضهم[١٨] أن التيار التراثي بات يطغى على أغلب الحركة التشكيلية الطليعية العربية، فقد التبس على بعضهم من التجارب الحروفية مفهوم الحداثة التراثية، وبعضها إبداعي ولا شك، والاعتقاد أن الموجة التراثية، تعرضت لعوامل السوق، وبات يمكن الحديث عن افتعال تراثي.

على هذا الأساس، يمكن تقديم الحركة التشكيلية العربية عبر تجارب ومحترفات قليلة، أعطت لوحة مغايرة للوحة الغرب، من حيث الرؤية كمسار صحيح لتطور التجربة لتلك المحترفات، وجدية علاقتها بالخصوصيات الإنسانية والحضارية.

اشتباك حضاري

كما يجب الاعتراف بالاشتباك الحضاري والثقافي الذي نعيشه في زمننا هذا، وعلى الفنان العربي، في رؤيته الأكثر عمقاً لعصره، أن يعي هذه المسألة ويتعرف إلى أدواته وموضوعه ومن ثم إبداعه.

في هذا السياق، يشير بعضهم[١٩] إلى وجود نزعة فلوكلورية يعامل فيها الغرب (أحياناً) الخط العربي من حيث هو منجز فني، ووجود نزعة أخرى تقديسية للخط العربي، لم تخرج به من دائرة التكرار الممل البليد، ومن هنا نرى في أعمال هؤلاء التجسيد الحروفي عن القافية التي يؤول إليها الكلام، وعندما يجردون في لوحاتهم فوق التجريد الذي يحتويه الحرف بالأساس، فإنهم يجهدون ليخرج بصورة من صور الحكمة، بعيداً عن مدلولات النظر العامة، إنهم يجهدون لتبقى مدلولات النظر العامة، وليبقى زخم الحرف متناول الرائي الآخر، الذي يتشارك مع اللوحة الحروفية عبر فضاء المعنى.

من هنا لم تكن مساعي الخطاط العربي المعاصر من أجل مزاوجة الدلالة التجريدية والجمالية للخط العربي، مع



الخطاطون لايزالون يفتنون بوسائلهم المعتادة

قيم التشكيل الفني المعاصر بالمسألة السهلة، بل كانت على الدوام مهمة شاقة.

على هذا الأساس، يجب على أي تجديد، ألا يقطع الصلة مع إرثنا الجمالي في مجال الخط، بل بالأحرى السعي إلى الامتداد حضارياً، مع الاستثمار المتقن لزخم الحرف العربي، ومناخاته الفلسفية، وإدراك بنيته التجريدية، عبر مناخ تكاملي يستعيد أسئلة العقل، ويغذي موارد الحكمة العميقة في التراث العربي الإسلامي؛ ذلك لأن الحالة التي أفرزت الطابع الإنساني العميق للمعرفة العربية القديمة، قادر على الخروج بمعالجات معاصرة وشجاعة، من دون المرور بالتقليد والمحاكاة، بل بالبحث الجاد والمخلص عن الوعي التجريدي والفكري، الذي يليق بمثل هذا الإرث.

لكنهم[٢٠] يستدركون مؤكدين أن بعض الخطاطين العرب، انجذب واستأنس لغواية الموروث، ونزعة الاتباع الموصوفة، في كتاب الخط، عبر الأزمنة الماضيّة، وهو الأمر الذي أعاق عملية المراكمة الضرورية لأي ظاهرة إبداعية خاصة على المستوى الحروفي، فيما تقف الإنجازات (الكمبيوترية) متمترسة خلف إنجازات مكثفة ومتلاحقة، كحاجز كبير يثبط الهمم، من هنا، اعتمد هؤلاء في تجاربهم الحروفية، على منطلق يكمن في نفي النظرة القدسية للتراث الخطي بوصفه كياناً جمالياً لا زيادة لمستزيد فيه، ثم التوجه نحو تواصل معرفي، لا يستجيب لإيقاع العالم والحياة فقط، بل يتجاوز ذلك إلى خلق أشكال جديدة على خلفية الإيقاع، وهذا الأمر لا يقتصر على البحث عن تناغمات الخط، أو اللون، أو الملمس، بقدر ما تتجاوزه إلى تحويرات تجعل المعنى أكثر إلفة، ويحيل غواية المألوف إلى يسر التداعي.

رؤية إشراقية

بعض الحروفيين[٢١] يرى أن تشكيل الخط العربي في فضاء اللوحة الحديثة، يعبر عن رؤية كشفية إشراقية في معنى الدلالات والرموز، فالحرف رمز اتصال، والجملة مفتاح للتأمل والغوص في أسرار الكون، وفي الحروف تكمن وحدة هندسية، عليها يقوم فن الشرق، سواء كان خطاً، أو زخرفة، أو موسيقا، أو شعراً، أو حتى بلاغة. فالوحدة في الشعر هي الحركة والساكن، وفي الموسيقا زمن الصمت، وفي الزخرفة هذه الثنائية بين المتوازيات، وبين الكبير والصغير، وبين المنحني وكل من المنكسر والمستقيم، لكن الخط العربي ليس مجرد أداة تعبير بصري عن معان ودلالات معينة، أو مختلفة، أو متعددة، وليس مجرد أداة تواصل لغوية على المستوى البصري، بل يحمل إمكاناته البصرية والجمالية العالية، من هنا فإن للوحة الحروفية مستقبلاً ما دام خلفها بحث مستمر، وهي قادرة على الوصول إلى مستويات الفنون الإبداعية، إذا ما قادتها حالة بحثية جادة وحيوية.

اتجاهات

والحقيقة المؤكدة الآن، أن الحروفية العربية تطورت من الناحية الفنية، واستطاعت أن تأخذ مكانة بارزة داخل الاتجاهات الفنية التشكيلية، لها اتجاهاتها وصياغاتها وأشكالها المختلفة فبعض[٢٢] المشتغلين فيها لا يلجؤون إلى قطع رأس حرف، أو تشويه آخر، بل يشتغلون لسنوات على حرف واحد تشكيلياً، كحرف النون مثلاً، وهم لا يقسرون الحرف على تقديم الرؤية التعبيرية أو الجمالية، بل يعالجونه بكثير من العفوية، بحيث يكون الحرف مجمعاً، أو مفككاً، أو مسيلاً فوق مسطح اللوحة، ذات البعد الواحد، خالقين تكوينات حروفية جمالية لافتة، تتحاور فيها المفردات الحروفية المفككة، أو المنتظمة في كتل هندسية صريحة، منحوتة من الحروف مع خلفياتها، ضمن أنساق مدروسة.

آخرون[٢٣] تعاملوا مع الحرف العربي، لا بصفته خطاً، بل خلقاً وتشكيلاً فنياً، وله عدة أبعاد، فهو حرف نوراني روحاني، لكونه حرف القرآن الكريم، وقابل للتشكيل الفني

بالدوائر والتنقيط، الأفقي والعمودي، فهو بالضرورة، قابل لأن يصبح - فنياً - حرفاً عالمياً، وهؤلاء تجاوزوا بتجاربهم الحروفية الحدود الضيقة، عندما تمكنوا من جعل الكلمات تتفجر فوق لوحاتهم، معيدين اكتشاف السحر والفتنة الكامنين في هذه الكلمات، التي يستلون منها جماليات الخط العربي، ويمزجونها في عمق اللوحة وإطارها.

بل يذهب بعضهم [٢٤] إلى تشكيل الخط العربي في فضاء اللوحة، وفي قلب أسلوبها. والخط العربي بحروفه عندهم، يُعبر عن رؤية كشفية إشراقية في منحى الدلالات والرموز، معتمدين على لحظة عناق الحرف مع حقائق الكون والحياة، فالحرف رمز اتصال، والجملة مفتاح للتأمل، والغوص في أسرار الكون. وهكذا تتحول لوحات هؤلاء إلى أجزاء في كون عريض متصل، لوحات مرسومة بالحروف، ومموسقة بالألوان على إيقاع النفس وتطلعها إلى الرؤية، والانسجام، والاستقرار، في هذا العالم المضطرب الجامح.

بعض الحروفيين [٢٥] أكدوا أنهم منحازون إلى تجربة ذات علاقة بالثقافة الوطنية، وتطوير مداخلاتها بالموروث القومي، الذي انشغلوا بعملية تحدثيه، سواء كان نصاً أو أشكالاً بصرية، وكانت للحروفية مكانتها في تجربتهم التشكيلية، إلا أنهم، ومنذ البداية، كانوا يتعاملون مع هذه الموروثات بوصفها جزءاً من وحدة متكاملة هي اللوحة، ولهذا لم يجدوا أنفسهم محرجين، بعد أن غادروا طقوس الحروفية، وبعد أن التبس عليهم في هذه التجربة، مفهوم الخطاط وأولوية الرسام.

من هنا، تعددت طرائق تناول الحرف العربي في لوحات الحروفيين العرب المعاصرين. بعضهم أخذ البعد الجمالي الغيبي والصوفي للحرف، بعيداً عن الأدبيات والقواعد والنظم، كأن يشكلوا منه وحدات متداخلة، بعدة ألوان، بحيث يعطوا في النهاية، من خلال تكراره، صورة غنائية تفيض بالموسيقا اللونية، وبعضهم الآخر، يدخل الحرف إلى اللوحة الفنية، من خلال تكوينات لونية تجريدية، توحي بدلالات محددة، أو يجعله يشكل نسيجها المعماري المتداخل والمتين، وعنصرها الأساسي، وهذا ما يجعل اللوحة لديهم، تتحول إلى دراسة عقلية وحسية رفيعة، لا تقوم على معنى الكلمة أو الحرف، وإنما على المعنى الدلالي لحركة الحرف، وتوضعات اللون، وتكوينات الكلمة التي قد تترافق وشكل ما في الواقع، لكن الهدف الأساسي هنا، خلق تمازج جميل وفريد، بين العقل والإحساس، وبين العاطفة والخبرة التقانية، وبين الشكل المجرد والحضور المختزل للواقع؛ ذلك لأن الحرف العربي يتفرد بأشكاله وغزارة مفرداته، وهذا يوحي إلى الفنان بالانطلاق والإبداع، بما فيه من مرونة، ومطاوعة، وإمكان الارتفاع والانخفاض، والمط والمد، وهذه الخاصية تمكن المشتغلين عليه، من إقامة تشكيلات وتكوينات غرافيكية متميزة ومتفردة، من بنيته.

ويذهب بعض الحروفيين [٢٦] إلى تأكيد أن الحروف تستطيع أن تغني، وترقص، وتتهادى، وتبتهل، كما تفعل ألحان الموسيقا، وأصوات الأذان، وإيقاعات البالية، وعندما تفعل الحروف ذلك، على سطح الورق والقماش، بواسطة الخطوط والألوان، فإنها تصبح لغة تشكيلية وجمالية، لا تبغي نقل رسالة ذات مغزى مباشر، بل تبتغي إطلاق ألحان سماوية، تقرأ بالبصيرة والقلب، قبل أن تقرأ بالبصر والألفاظ، ألحان يؤديها الرسم، كما تؤديها الألوان.

والحرف في اللوحة الحروفية، إحدى مفردات الكتلة، للكلمة جزء من عبارة، والعبارة هي روح القصيدة، أو القول المأثور، ونجاح اللوحة الحروفية يتوقف على عملية اختيار الكلمة من العبارة، التي تلائم التكوين المعماري أكثر من غيرها، وهذا الأمر لا يقود إلى الشعر أو العبارة فحسب، بل إلى الشاعر، أو صاحب العبارة، وهذا ما يفتح أمام الفنان آفاقاً واسعة من المعرفة والتواصل مع الآخر.

بعضهم [٢٧] يرى أن الخط العربي موثق شعراً، ونثراً، وفي تطور مستمر، والخطاطون على مر العصور، رجال حكمة، ومثقفون، مروراً بالعصر الحديث، وهؤلاء كانوا يستغربون

كثيراً لماذا كل هذا الجدل عن الأصالة والمعاصرة. ولماذا نترك الأشياء تسير على طبيعتها.

الأشياء القديمة التي لها شكل الإيجاب تظل موجودة، ويمكن للمعارض أن تضم كل أشكال التوجهات، جنباً إلى جنب، حيث لا يوجد تناقض بين القديم والجديد، أما نحن فمعطلون كثيراً بهذا الجدل، ليس هناك شيء ينبع من فراغ، والتغريب حدث للإنسان العربي مع الاستعمار، الذي أنشأ التعليم الحالي بمناهجه، التي تطرح الطريقة الأجنبية في التعامل مع البصريات. والفنانون التشكيليون العرب الرواد الأوائل، الذين تخرجوا في مدارس الاستعمار لم يرضوا بذلك، واستفادوا من المعارف الجديدة، ورجعوا يفكرون ويسألون أنفسهم، هل هذا ما نحن نرغب في إنتاجه أم هناك شيء آخر؟

بالنسبة إلى الحروفي، هذه الإشكالية غير موجودة، وقد تكون موجودة بالنسبة إلى التشكيلي المصور؛ لأنه سيجد نفسه وسط المدارس الفنية الحديثة، وعليه أن ينتج أسلوبه وخصوصيته.

واحد من الحروفيين أشار إلى أنه وجد خلال بحثه، رابطاً بين الهاء والنقطة، وهذا له دلالة صوتية واضحة، فميزان الحرف نقطة، ومحور دوران الكون نقطة، والإنسان خلق من نقطة، والنقطة هي المطلق، والمنطلق لكل شيء، من هنا يجب أن ندفع الخط إلى التفاعل والمواكبة؛ لأنه يملك ذخيرة لا نهائية، تلتقي مع أي مزاج، وهو خزان كبير، يسعى كثير من الحروفيين إلى فتحه على فنون العصر، وفق إيقاعات موسيقية، وبناءات، وحوارات بالكتلة والفراغ، بالخلاء والملاء.

نتائج واستنتاجات

بعد هذه الإطلالة الشاملة على عالم الحروفيين العرب، وتجاربهم، وآرائهم، وأفكارهم، ونظرتهم إلى العنصر التشكيلي البصري، الذي يشتغلون عليه، بهدف الخروج بأثر فني تشكيلي عربي معاصر، يحتضن شيئاً من ملامح موروثهم

على الفنان العربي، في رؤيته الأكثر عمقاً لعصره، أن يعي مسألة الاشتباك الحضاري والثقافي، ويتعرف إلى أدواته وموضوعه ثم إبداعه

الحضاري الأصيل والعريق، وفي الوقت نفسه يحتضن نبض العصر الذي ينتمي إليه، ويعيش في ظله.

ما هو مؤكد أن للحرف العربي ميزاته التشكيلية المتفردة، لكن لا بد من إخضاعه لعمليات الإبداع التشكيلي الحديث، ضمن أسس ونظم ومعايير. فالتجربة الحروفية ذات مرونة متفاعلة ومتطورة، وعلى الرغم من المآخذ الكثيرة التي تسجل على بعض تجاربها، ويجب أن يعود فيها الحرف إلى وحدته الشكلية، ثم إلى تركيبته، وإلى وظيفته التأملية الجمالية، وإلى أهدافه المتعددة التي تتجاوز التشكيلية البصرية المجردة من أي معنى أو دلالة.

لقد باتت الحروفية اتجاهاً فنياً معاصراً، له ثقله الكمي والنوعي في حيواتنا التشكيلية العربية الحديثة. وهي تستقطب المزيد من الفنانين التشكيليين يوماً بعد يوم، وكل يحاول إخضاع قدرات الحرف العربي التشكيلية والدلالية المتميزة، للخروج بأثر فني جديد، يدل علينا دون غيرنا، لكن الحروفية ليست السبيل الوحيد لتحقيق ذلك، فأمام فنانينا خيارات أخرى كثيرة ومتعددة، تقودهم إلى الغاية نفسها، إذا ما أتقنوا التعامل معها، واستثمارها بشكل صحيح وسليم وواع.

الحروفية إذن، طريق بعضهم لإنجاز أثر فني معاصر، يحتضن نبض الجذور الحضارية العربية والإسلامية. وهؤلاء

إذ يمضون في هذا الطريق، بكل هذه الرغبة والحميمية؛ فلأنهم مسكونون بهاجس البحث الصادق عن الهوية الفنية الخاصة بهم، بوصفهم فنانين عرباً معاصرين، بعيداً عن أسر المعطيات والمفاهيم الفنية الغربية، التي طغت على دراستهم، وتقاناتهم، ونتاجاتهم، وأدوات تعبيرهم، حتى حياتهم بمجالاتها كافة.

إنها محاولة للتململ والخروج من التابوت الغربي، لتأكيد الذات المتفردة الأمينة على تاريخها وتراثها وعصرها في آن معاً.

هذا طموح مشروع، وهاجس نبيل، وسعي مشكور لفنانينا الذين يشتغلون في ميدان الحروفية، خصوصاً أنهم التقطوا وسيلة تعبير مهمة، تميزت عن سائر حروف اللغات الأخرى من العالم، بالمرونة، والمطاوعة، والانسيابية، والترابط، والليونة، وإمكانية الارتفاع بقوائمها أو الانخفاض، المط والمد. كما يمكن للحرف العربي المفرد أن يأتي على صورة واحدة، أو اثنتين، أو ثلاث، وفي صور أخرى عند اتصال حروف الكلمة، ووضعها في الجملة، وبالتالي ظهور عدة أشكال في كل موضع. وتعدد صور الحروف يعطي الحرية للخطاط فيصعد بالحرف أو يهبط، يحركه يميناً أو يساراً، أو يدخل حرفاً داخل حرف، أو يختصر من جسم الحرف، كما يمكنه كتابته على سطر، أو في دائرة، أو في شكل هندسي، أو على هيئة نباتية، أو مشخصة، بينما أغلبية حروف اللغات الأخرى، محكومة بسطرين.

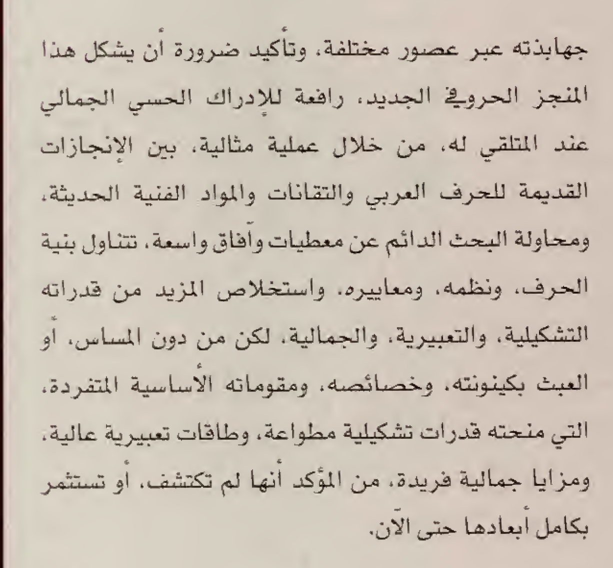
هذه الخصائص والمزايا التشكيلية، والتقانية للخط العربي، إضافة إلى المتعة الكبيرة التي تتوافر للمتعاملين معه، نتيجة ما يمثله من رموز ودلالات تصل إلى حد التقديس، هي التي أغرت التشكيلي العربي المعاصر، بخوض غمار الحروفية.

لكن ما يجب تأكيده، ضرورة عدم الإخلال بقيم هذا الخط وقواعده وموازينه، الذي يتمتع بإمكانات تشكيلية لا حدود لها، أكدت طبيعته الانسيابية اللينة.

ولنجاح التجارب الحروفية العربية المعاصرة، بمحاولاتها التجديدية التحديثية من أجل تطوير مفهوم استخدام الحرف العربي في التشكيل المعاصر، لابد لها من اعتماد الحرف العربي جزءاً لا يتجزأ من الأثر الفني، أو أساساً له، وليس مجرد إضافة تزيينية باهتة له، أو مجرد متكئ صغير. كما لابد للفنان الحروفي من استيعاب التطور التقاني الطباعي وتجاوزه إلى التعامل مع الحرف العربي بروح مغايرة من الناحية الإبداعية الابتكارية، تؤكد وتبرز جماليته الكامنة فيه، من دون إساءة أو تشويه، وبذلك استثمار هذه الجمالية في تحقيق منجزه الفني الصافي الناهض، في الأساس، على إنجازات الخط العربي الموروثة التي حققها

المراجع

١- حسن السري، شهيرة أحمد، الاتحاد الثقافي، ١٩٩٩/٧/٢٩م.
٢- خليفة الشيمي، أفراح عمر، صحيفة البيان، دبي.
٣- خليفة الشيمي، أفراح عمر، صحيفة البيان، دبي.
٤- محمد سعيد الصكار، مرعي الحليان، صحيفة البيان، دبي، العدد ٥٦٦٢، تاريخ ١٩٩٩/١٢/٢م.
٥- حامد العويضي، مسعد النجار، صحيفة الاتحاد الظبيانية، ٢٠٠١م.
٦- محمد سعيد الصكار، مرعي الحليان، صحيفة البيان، دبي، العدد ٥٦٦٢، تاريخ ١٩٩٩/١٢/٢م.
٧- محمد سعيد الصكار، شهيرة أحمد، صحيفة البيان، دبي، العدد ٦٤٠٧، تاريخ ١٩٩٨/١/٢م.
٨- محيي الدين اللباد، وائل لطفي، صحيفة الاتحاد الظبيانية، ٢٠٠١/٦/٢٥م.
٩- مسعد خضير البور سعيدي، صحيفة البيان، دبي العدد ٦٦٦٠، تاريخ ١٩٩٨/٩/١٢م.
١٠- حامد العويضي، مسعد النجار، صحيفة الاتحاد الظبيانية، ٢٠٠١م.
١١- د. أبو صالح أحمد الألفي، مجلة الفيصل، العدد ٢٠٩.
١٢- حامد العويضي، مسعد النجار، صحيفة الاتحاد الظبيانية.



جهابذته عبر عصور مختلفة، وتأكيد ضرورة أن يشكل هذا المنجز الحروفي الجديد، رافعة للإدراك الحسي الجمالي عند المتلقي له، من خلال عملية مثالية، بين الإنجازات القديمة للحرف العربي والتقانات والمواد الفنية الحديثة، ومحاولة البحث الدائم عن معطيات وآفاق واسعة، تتناول بنية الحرف، ونظمه، ومعاييره، واستخلاص المزيد من قدراته التشكيلية، والتعبيرية، والجمالية، لكن من دون المساس، أو العبث بكينونته، وخصائصه، ومقوماته الأساسية المتفردة، التي منحته قدرات تشكيلية مطواعة، وطاقات تعبيرية عالية، ومزايا جمالية فريدة، من المؤكد أنها لم تكتشف، أو تستثمر بكامل أبعادها حتى الآن.

١٣- شاكر حسن آل سعيد، حسن عبدالحميد، صحيفة الاتحاد، الظبيانية، ٢٠٠٢/٣/٤م.
١٤- محمد مختار جعفر، كتاب «روابط الخط والتشكيل».
١٥- علي حسن، صحيفة البيان، دبي، العدد ٥٧٦٨، تاريخ ١٩٩٦/٤/٣م.
١٦- محمود حماد، مجلة الحياة التشكيلية، دمشق، العدد ١٩-٢٠، ١٩٨٥م.
١٧- محمد غنوم، عمار مصارع، صحيفة البيان، دبي ١٩٩٣/٩/١٠م.
١٨- رفيق شرف، عبيدو باشا، الخليج الثقافي، العدد ٨١٩١، ٢٠٠١/١٠/٢٢م.
١٩- منير الشعراني، تشرين الأسبوعي، دمشق، العدد ١٦٠، تاريخ ٢٠٠١/٥/٨م.
٢٠- منير الشعراني، الشعراني، كراس إصدار ٢٠٠٤م.
٢١- سمير الصايغ، رواد إبراهيم، صحيفة البعث السورية، العدد ١٠٤٤٣.
٢٢- عبداللطيف محمد محسن.
٢٣-وجيه نحلة، ملحق الخليج الثقافي، العدد ٧٩٧٦، تاريخ ٢٠٠١/٢/١٩م.
٢٤- سامي مكارم، حسين نصر الله، مجلة الكفاح العربي اللبنانية، العدد ٦٣٣، تاريخ ١٨٨٢/٨/١٧م.
٢٥- ضياء العزاوي، حسين نصر الله، مجلة الموقف العربي، العدد ٥١٤، تاريخ ١٩٩٢/٢/٢٤م.
٢٦- عزالدين نجيب، فوزي سليمان، صحيفة البيان، دبي.
٢٧- تاج السر حسن، مجلة زهرة الخليج، أبو ظبي.



غانم، أحمد سليم/ الشعر الموضوع والمضطرب النسبة في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.- الرياض: مركز حمد الجاسر الثقافي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٦٠٣ص، (سلسلة إصدارات مركز حمد الجاسر الثقافي؛ ٦).

يعدّ كتاب الأغاني موسوعة أدبية وتاريخية، وهو مصدر يحتاجه الباحثون على الرغم من احتوائه على عدد من الأشعار الموضوعة والمضطربة النسبة التي رواها المؤلف مسندة وفق منهج المحدّثين، وقد التفت المؤلف في هذا الكتاب إلى ناحية من كتاب الأغاني، لم يلتفت إلى دراستها أحد بتوسع، وهي قضية الشعر الموضوع، والمتنازع النسبة في كتاب الأغاني، فتناولها بالدرس المعمق متأنياً، مستصحباً أدوات المنهجية، والنقدية، سواء في البحث والتحليل، أو في الجمع والتوثيق، وجعله في قسمين:

فجعل القسم الأول في كتابه لمنهج أبي الفرج في رواية هذا الشعر، متحدثاً عن شخصية المؤلف وكتابه، وأهميته، وموقف العلماء منه، منقباً عن مصادر أبي الفرج الأصفهاني في الرواية، مشيراً إلى تنوع هذه المصادر، وإلى منحاه في الرواية، وصيغها، وطرق التحمل والأداء لها في كتاب الأغاني، ومقاييس أبي الفرج في توثيق ما رواه.

وجمع في القسم الثاني من الكتاب نصوص الشعر الموضوع، وجعلها على ثلاثة أقسام هي: المصنوع، والمنسوب إلى غير قائله، والمضطرب النسبة، ذاكراً موقف أبي الفرج النقدي من كل نص، مذيلاً له بتخريجه في دواوين الشعراء ومصادر الأدب.

وقد وضع الأشعار في كل فصول الكتاب، حسب الترتيب الهجائي لحرف الروي، يلي هذا، الترتيب حسب البحور، وخصص الحاشية للتعريف بالشعراء، ممن نسب الشعر إليهم، وإثبات الروايات المختلفة للشعر، التي وردت في المصادر الأخرى، وكذلك تنوير بعض معاني الغريب والمستغلق من المفردات والصيغ.

قصيدة

بأيِّ اتجاهٍ يهمُّ الرَّحيلُ
وكلُّ المسافاتِ هَمٌّ ثقيلُ
يُكسِّرُنا الخطْوُ نبضًا فنبضًا
ووَهمُ الوصولِ احتمالٌ ضئيلُ
يموجُ بنا البرُّ والبحرُ حتى
كأنَّا بلا موطئٍ إذ نميلُ
سُكِرْنا ببوصلةِ الأُمنياتِ
وأغرى خُطانا الهوى المستحيلُ
وماذا سيبقى من القلبِ لمَّا
يُغادره كلَّ يومٍ خليلُ؟
فهل غادرَ الشِّعرُ رِفْدَ الظِّلالِ
ليُعْرِبَهُ المُستهامُ الضَّليلُ؟
أما لَكَ يا عُمرَنا بعضُ طِبٍّ
فقد ملَّ منَّا الوجودُ العليلُ؟

نبتْ الصباحاتِ قولاً جميلاً
وأفعالُنا في الضُّحى تستقيلُ
كأنَّا قَنَعْنا بفضْلِ التراثِ
وما يَهَبُ الأعجميُّ النزيلُ
وإنَّا المَضارِبُ في كلِّ صقْعٍ
يُضاءُ بها للسبيلِ الفَتيلُ
يُثاب الكريمُ ارتقاءَ المعالي
ويلقَى ازدراءً لدينا البخيلُ
فكيف استَطبْنا عطايا العُلوجِ
وينبوعُنا «رافدانِ ونيلُ»؟
وإنَّ العَطَايَا اختلاسٌ خفيٌّ
لأرواحِنا واتِّباعٌ ذليلُ
هجَونا وماذا يُفيدُ الهجاءُ
إذا أسلَمَ الروحَ سمعٌ كَليلُ؟

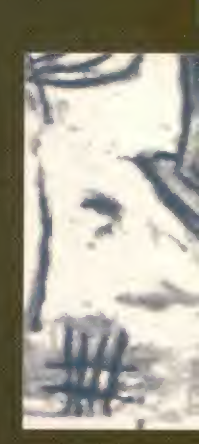


أمّتي

سالم المساهلي

الكاف - تونس

سَئِمْنا تكاليفَ كرٍّ وفرٍّ
وموقعةً يعتليها الصهيلُ
وبِتْنا وأشواقُنا ملءُ كأسٍ
يطوفُ بها الليلَ خصرٌ نحيلُ
تمرّدت الموسمات علينا
فلا عاشقٌ هانئٌ أو خَليلُ
ولا أبْرَأَ السُّقْمَ جلمودُ صخرٍ
يخرُّ له كلَّ يوم عميلُ
أيا أمَّةَ أمُّها التيهُ دهرًا
ألم يَسْتَثْرِكِ السُّباتُ الطويلُ؟
ألم تندَ منك المشاعرُ لما
تمرَّسَ بالعجْزِ جيلٌ وجيلُ؟
أيا فَحْلُ يا مُهْرُ يا نخلُ يا رمـ
لُ يا بَرُّ يا بحرُ كيفَ السبيلُ؟
تداعى الغزاةُ على حَوضنا
وراياتُنا البيضُ ظلٌّ ظليلُ
يسوموننا صافنات الجياد
ألا بئس أسواقُهم والبَديلُ
يسُومونَنَا الصبرَ عند الرَّزايا
وكيف وذي «غزَّةٌ والخليلُ
وعكّا وحيفا وأشلاءُ صَبْرا
وجينينَ والقدسُ جرحٌ بليلُ؟»
ألا لا نُري الوحشَ خوفًا وغمًّا
ولا صفحَ حتى يقومَ الدَّليلُ
فقمي أمَّتي نَبْنِ أشواقَنا
فما يُدرِكُ المجدَ إلاَّ الصَّليلُ
فقمي نَصطلحْ نأتلفْ نَصْبُ نَسْمُ
نُردْ نأتلِقْ نُبْلِ من يَستطيلُ
فقد أومض الوعدُ في الأفقِ بشْرًا
يُلوِّحُ لي أن سيَشْفَى العَليلُ



قصائد أطول منها العنوان

سعود بن سليمان اليوسف

الرياض - السعودية

(١)

يا صديقي
لست خسرانَ إذا ما
بعتُ يومًا
ألفَ صحراءَ بزهرَهْ

(٢)

ما تمتعتُ بشعري!
هل تملَّتْ بشذاها أيُّ فُلّهْ؟
أيّ نخلَهْ
بظلال الجذْعِ تبدو
مُستَظِلَّهْ؟!

(٣)

كنتُ أدري
قبل سُقيايَ الصحاري
أنني منهنَّ لن أجنيَ شيئًا!

(٤)

أنا إن أحضرْ: حضوري مُبهِجٌ
مثلُ زخّاتِ الشروق
أو - إذا غبتُ - فأحلى
منظرٍ للشمس في وقتِ الغروبِ

(٥)

قلتُ له:
إن الشاعر لا يبكي
قُبضَتْ روحُ صديقي بعد ليالٍ
وأنا مذ ذلكمُ الحين أفتّش عنهُ
لتقول له القسَماتُ الثَّكلى في وجهي:
إنّ الشاعرَ لا يُمكن إلا أن يبكي!

استطلاع

ملامح الثقافة العربية الإسلامية في

داغستان

حسين حاجي إبراهيم تيكايف

الرياض - السعودية



أنت في ذاكرتي وقلبي كفتاة ممشوقة القدّ
داغستان يا حبيبتي دائماً أنتِ في مهجتي
شعوبكِ، لغاتكِ كلهم في مقلتي
(الشاعر الداغستاني - ماجد أحمدوف ١٩٣٤م - حتى الآن)

نُظمت في الرياض، على خلفية زيارة الرئيس الروسي بوتين للمملكة العربية السعودية، التي كانت موضع اهتمام وسائل الإعلام المقروءة والمرئية، معارض ومحاضرات تحدثت عن روسيا ودورها في الوقت الحاضر، ووضع العلاقات الثقافية، وآفاق تطورها.

وقد نُظم في الوقت نفسه في موسكو «أسبوع الثقافة السعودية في روسيا الاتحادية»، وصدر منذ مدة قريبة، عن معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية في موسكو، كتاب عن سيرة الملك عبدالعزيز — رحمه الله — بعنوان: «الملك عبدالعزيز مؤسس المملكة السعودية»، ألفه المستشرق الروسي المعروف الدكتور ألكسندر ياكوفليف - أستاذ التاريخ -. ووُقعت في أثناء زيارة الرئيس الروسي مجموعة من الاتفاقيات في حقل التعاون الثقافي، والاقتصادي، والعسكري، والتقني.

تحاول هذه المقالة تقديم صورة حقيقية عن واقع الثقافة الإسلامية في روسيا، إذ يبلغ عدد المسلمين في روسيا كما هو معروف أكثر من ٢٠ مليون شخص.

وقد قامت في روسيا جماعات إسلامية كثيرة، كما أشار مفتي روسيا راويل غين الدين في كتابه «الإسلام في روسيا» - إلى أن كثيراً من هذه الجمعيات صارت تعمل على أرضية قانونية، وزاد عدد هذه الجمعيات الإسلامية.

ويوجد اليوم في روسيا الاتحادية أكثر من خمسة آلاف مسجد. ولم يكن عددها في عام ١٩٨٦م يزيد على ١٨٩ مسجداً فقط.

كما قامت أكثر من ٤٠ مؤسسة إسلامية تعليمية متوسطة وعالية. وهناك أكثر من ٢٠ صحيفة ومجلة إسلامية، ويقوم سنوياً عدة آلاف من المواطنين الروس بالحجِّ والزيارة

امرأة داغستانية بزيها التقليدي

للأراضي المقدسة في مكة المكرمة، والمدينة المنورة.

تعد جمهورية داغستان من المناطق التي حافظت على التقاليد الإسلامية في روسيا الاتحادية. وشملت الإصلاحات الديمقراطية التي حدثت في روسيا داغستان أيضاً. وأصبح لكل مسلم الحق في ممارسة شعائر الدين، والقيام بالحج، وهذا يعدّ أحد العوامل المهمة في ضمان حرية العقيدة. ويعد تزايد عدد الحجاج الداغستانيين الذين يقومون بزيارة الشعائر المقدسة دليلاً قوياً على هذه الحرية. وتذكر وثائق التاريخ أن الحجاج الداغستانيين بلغ عددهم في عام ١٨٩١م عشرين رجلاً فقط.

وأدت إزالة القيود في نهاية الثمانينيات والتسعينيات في القرن العشرين إلى زيادة السفر إلى الخارج، ومن ضمنها المملكة العربية السعودية، فكان من الطبيعي أن يزداد عدد الراغبين في زيارة مكة المكرمة، والمدينة المنورة لأداء شعائر الحج والعمرة والزيارة. ولم تكن هذه المسألة بهذه البساطة.



باب الأبواب في جنوب داغستان

ولم تكن الإدارة الروحية لمسلمي داغستان الجهة الوحيدة التي تقرر رحلات الحج وتنظمها، بل كانت بعض المؤسسات الحكومية الأخرى تتدخل في هذا الأمر.

وكان مجلس العلماء التابع للإدارة الروحية لمسلمي داغستان قد قرر في عام ١٩٩٢م إنشاء اللجنة الدائمة التي تمثل كل القوميات الداغستانية، وكان من مهامها تنظيم

رحلات الحجاج الداغستانيين وتنفيذها.

تدل آخر الإحصاءات أن عدد الحجاج الداغستانيين في عام ١٩٨٩م كان أربعة أشخاص فقط من أصل ٣١ حاجاً من الاتحاد السّوفييتي.. وارتفع عدد الحجاج الداغستانيين في أثناء ما يسمى بالحج الكبير الأول في عام ١٩٩٠م في فترة «البيريسترويكا» إلى ٣٤٦ حاجّاً.

بعد ذلك تزايد عدد الحجاج الداغستانيين بشكل متوالية هندسية: ففي عام ١٩٩١م كان عددهم ١٢٠٠ حاجّ من أصل ١٥٠٠ حاج من كل الاتحاد السوفييتي، وفي عام ١٩٩٢م بلغ عدد ٥ آلاف حاجّ، وفي عام ١٩٩٣م ٦ آلاف حاج. وفي عام ١٩٩٥م بلغ العدد ٩٤٦٩ حاجّاً، ثم زاد في عام ١٩٩٦م إلى ١٢٥٦٣ شخصاً، وفي عام ١٩٩٧م كان عدد الحجيج ١٢٢٠٨حجاج، وفي عام ١٩٩٨م تواصلت الزيادة وبلغ العدد ١٤ ألف حاجّ، وفي عام ١٩٩٩م ٧ آلاف حاجّ، وفي عام ٢٠٠٠م كان عدد الحجاج ٥٨٠٠ حاجّ. وفي هذه السنة يقوم ٢٥ ألف شخص من روسيا الاتحادية، بينهم ١٣ ألفاً و٥٠٠ حاج من داغستان بأداء فريضة الحج.

وتدلّ الأرقام السابقة على أن عام ١٩٩٨م شهد أكبر عدد من حجاج داغستان، الذي بلغ أكثر من ١٤ ألف حاج أي: ٨٠٪ من عدد الحجاج الروس. بمقارنة هذا الرقم مع رقم عام ١٩٩٠م نجد أن الرقم ازداد أكثر من ٤٠ مرة. وحجَّ خلال السنوات العشر الأخيرة نحو ١٠٠ ألف شخص من جمهورية داغستان.

لا يمكن لنا بالتأكيد في هذه المقالة الصغيرة تغطية كل مناحي الحياة في الجمهورية، لذلك سنقدّم للقرّاء الأعزّاء عرضاً تأريخياً وثقافياً مختصراً عن هذا البلد الجميل.



معلومات مختصرة

تعني كلمة داغستان في اللغة التركية «بلاد الجبال»، وهي أكبر الجمهوريات في شمال القوقاز، ويصل عدد سكانها إلى نحو مليوني شخص، ومساحتها (٥٠,٣ ألف كم٢). وتتميز هذه الجمهورية بكثرة قومياتها، ولا يوجد بها قومية رئيسة، بل تعد كل القوميات - وعددها ٣٣ - أساسية.

وينحدر أهالي داغستان من قومية أوار (وتبلغ نسبتها نحو ٢٨٪ من كل سكان الجمهورية)، وقومية دارغين ١٦,٣٪، وقومية لازغي ١٢,٢٪، وقومية لاكي ٤,٩٪، وقومية تبسّران ٤,٦٪، وقومية رتول ٠,٨٪، وقومية أغول ٠,٨٪ الخ. يعيش إلى جانب السكان الأصليين في جمهورية داغستان الروس ٦,٥٪، والشيشان ٤,٥٪، والأذربيجان ٤,٥٪ وقوميات أخرى.

يتكلم الناسُ في داغستان بلغات تنحدر من ثلاث مجموعات: المجموعة الإيبيرية القوقازية: (قومية أوار، وقومية دارغين، وقومية لازغي، وقومية لاكي، وقومية تبسّران، وقومية رتول، وقومية أغول، وقومية تساخور، وشيشان) والمجموعة التركية: (قوميات قوموق، ونوغاي، وأذاربيجان) والمجموعة الهندية – الأوربية (القومية الروسية وتات).

وأكد الجغرافي العربي ابن الفاكه أبو بكر أحمد بن

محمد بن إسحاق الحمداني كثرة اللغات المحليّة في القوقاز الشمالي في بداية القرن العاشر في كتابه «البلدان»: «... تعيش في جبال الكبخ اثنتان وسبعون قبيلة، وكل قبيلة لا تفهم لهجة الجيران إلا بمساعدة المترجم».

كانت هذه القوميات المعزولة في داغستان في القرون الوسطى تتواصل بعضها مع بعض باستخدام اللغات، المحلية لغة القوموق، والعالمية مثل اللغة العربية التي كانت لغة العلماء غالباً. يتواصل حالياً سكان داغستان بعضهم مع بعض بواسطة اللغة الروسية فقط.

العلاقات التاريخية والثقافية بين داغستان والبلدان العربية

نطقت اللغة العربية أول مرة على أرض داغستان منذ ١٤٠٠ سنة. كانت مدينة دربند (تسمى باللغة العربية – باب الأبواب)، من أكبر المدن في ذلك الوقت، وكانت تمثل بوابة الدخول إلى مملكة داغستان، وكانت في بداية القرن الثامن الميلادي جزءاً من الخلافة العربية.

أدىّ انضواء جزء من الأراضي الداغستانية فيما بعد تحت لواء الخلافة العربية، والاستقرار السياسي الداخلي في الولايات الداغستانية، ثم دخولها في مدار الحياة الاقتصادية والتجارية والثقافية للخلافة، دوراً مهماً في تطور كل مناحي الحياة [١].

ويؤدي موقع داغستان على الطريق البحري والتجاري والبري الذي كان يصل جنوب شرق أوربا مع القوقاز والشرق الأدنى دوراً في هذا الأمر. يقول المؤرخون: إنه في أثناء الحروب المختلفة في القرون الوسطى سلك «طريق الحرير» أحياناً طرقاً ملتوية بدلاً عن الطريق التقليدي. كان هذا الطريق البديل، حسب بعض المؤرخين يمر عبر دربند.

وأشارت هذه المصادر إلى أن مدينة دربند قد وصلت في تلك الفترة إلى مستوى مدن الخلافة الكبرى من النواحي التجارية، والمهنية، والثقافية، والزراعية، ومن ناحية التأثير في المناطق المجاورة. واحتفلت هذه المدينة منذ مدة بمرور ٥٠٠٠ سنة على تشييدها. وتعد هذه المدينة أحد المراكز المهمة في شمال القوقاز، لنشر الإسلام واللغة العربية وآدابها. وتشير المصادر التأريخية إلى أن دخول الإسلام إلى داغستان بدأ مع قدوم العرب وإقامتهم بها. وقد قدم بعض السكان من دمشق، وحمص، وفلسطين، وسورية، والجزيرة، وسكنوا في دربند[٢].

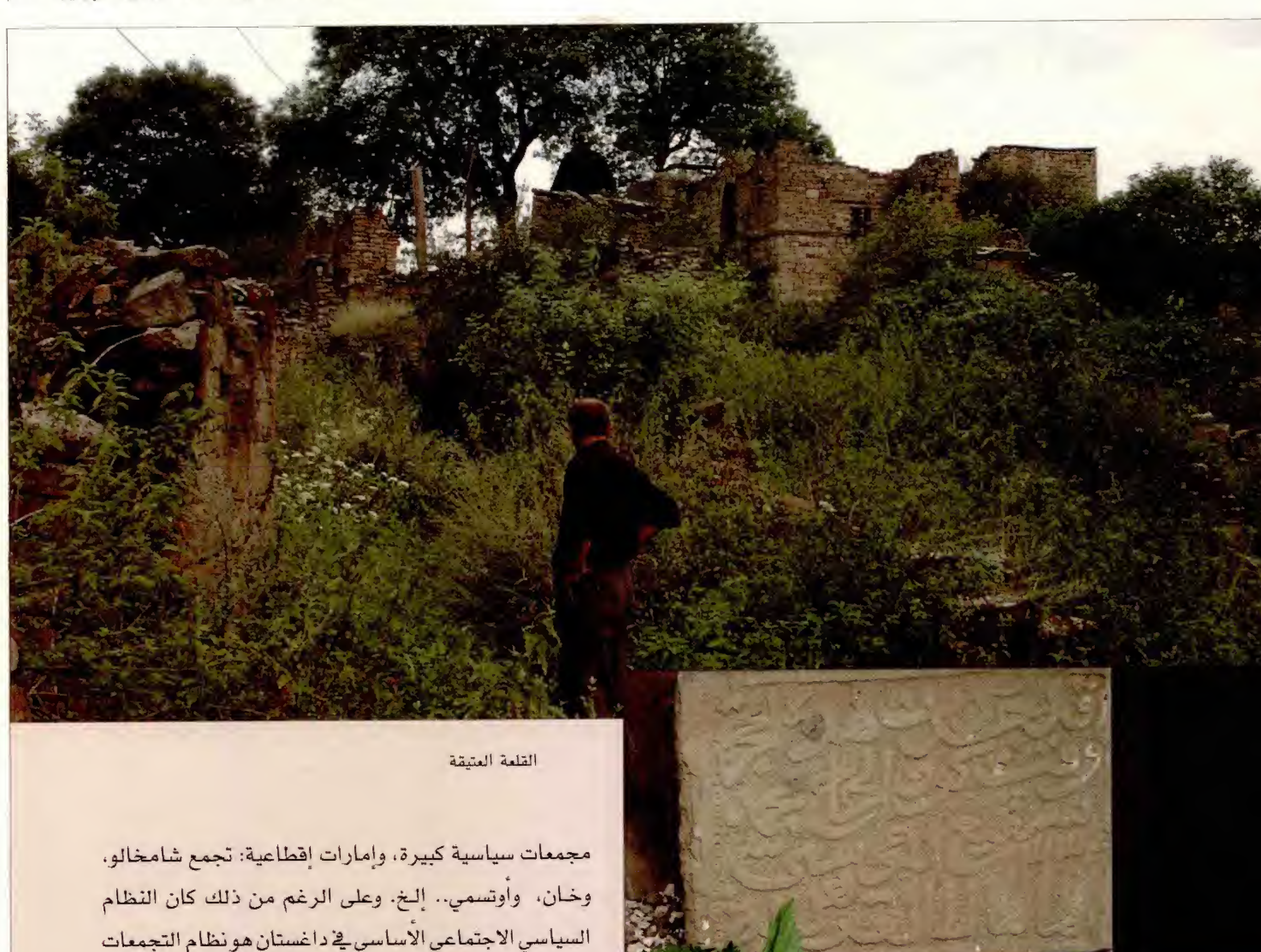
و«توقفت دربند في القرن العاشر عن حمل طابع المدينة العربية»[٣].

ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن كل حكام داغستان المحليين بقوا في مناصبهم. يعود أصل حكام داغستان الإقطاعيين إلى أسلاف سلالات شمخال. ومايسوم، وأوثمي، الذين ينحدرون من سلالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم[٤]. ويستند علم الأنساب إلى هذه النظرية»[٥].

ولا يؤيد العلماء كثيراً هذه النظرية، وعلى أي حال من المستحيل إنكار حقيقة وجود العاصمة السابقة التي بقيت حتى الآن، وهى عاصمة إمارة قايتاغ الداغستانية، واسمها «قلعة قريش»، التي أنشأت من قبل بعض العرب من قبيلة قريش.

وتؤكد وجود هذه النظرية المصادر التأريخية، وخصوصاً المدونات التأريخية الداغستانية، بجانب، «تأريخ داغستان»، الذي كتبه محمد رافي في القرن الرّابع عشر، ويتحدّث فيه عن العرب الذين وصلوا إلى داغستان بعد سنة ٢٠٠ هجرية. يقول المصدر: «جلس أمير شوفان (أمير تشوبان)، وهو من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم على عرش غزانفار بكل فخر، وهو كان أول حاكم يحكم ولاية خيداق، وقد بَنى في خيداق عدداً كبيراً من القرى والمساكن، واختار مدينة قلعة قريش التي تقع على صخرة ضخمة فوق الثغر إلى جانب النهر مقراً له».

كانت هذه القلعة منذ القرن الثامن الميلادى مقراً لحكام ولاية قايتاغ لأوتسمين الإقطاعيين. وأشار المختص بتأريخ القوقاز المعروف إي. م. شيلينغ إلى أنه «كانت قرية قلعة



القلعة العتيقة

كتابة بالعربية وجدت على جدار مسجد

قريش ذات موقع إستراتيجي نادر، وكانت أحد معاقل الإسلام في نجد جبال جنوب داغستان»[٦].

وبُني مسجد رائع في قلعة قريش في القرن الحادي عشر، وكان يتصف مع محرابه بجمال عجيب.

فيما يخص النظام السياسي والإداري في داغستان، من الضروري توضيح أنه من بداية القرون الوسطى بدأت تظهر في هذه البلدة الجبلية بوادر الحياة، ثم أصبحت بعد ذلك نواة اجتماعية وسياسية ومدنية. وكان يوجد هناك أيضاً مجمعات سياسية كبيرة، وإمارات إقطاعية: تجمع شامخالو، وخان، وأوتسمي.. إلخ. وعلى الرغم من ذلك كان النظام السياسي الاجتماعي الأساسي في داغستان هو نظام التجمعات السكنية – المشاعية، أو ما يسمّى بـ «الجماعة» التي بقيت حتى يومنا هذا. وتتميز داغستان من المناطق الأخرى في القوقاز بهذه الميزة التاريخية، إذ حافظت الوحدة القبلية للسكان في جبال داغستان على مكانتها الاجتماعية.

كانت دولة قلعة قريش أحد المراكز الإيديولوجية والسياسية القديمة لولاية خايداق. وبقيت عاصمة لهذه المملكة الكبيرة إلى القرن السادس عشر، عندما صارت مدينة مجالس عاصمة للمحافظة.

انتشر الإسلام في داغستان في ظروف معقدة؛ لأن داغستان في تلك المدة لم تكن وحدة إدارية موحدة. وكان على أرضها، من القرن السابع حتى القرن العاشر، كثير من الوحدات

السياسية المستقلة مثل: سلطنة الخازار، ودولة دربند، ودولة لاكز، ودولة تاباساران، ودولة غوميك، ودولة سارير، ودولة فيلان، ودولة زاريخغيران (حالياً – كوباتشي)، ودولة تومان، ودولة كاراخ – أوركاراخ، ودولة خايداق، وقد بدأت هذه العملية تتلاشى من القرن العاشر حتى القرن السادس عشر.

المخطوطات العربية في داغستان

كان يعيش في القرنين العاشر والحادي عشر في داغستان، وبخاصة في مدينة دربند، عدد من السكان العرب، وأصبح هذا من العوامل المهمة التي ساعدت على دخول الأدب العربي إلى داغستان. وقد ساعد هذا العامل على انتشار الإسلام، ليس فقط في الأراضي القريبة من المدينة، بل في الأراضي الواقعة بعيداً عنها.

عاش العرب في تجمعات متراصة، وهذا ما حافظ على الشكل العرقي لتجمعاتهم. علّم العرب السكانَ المحليين اللغة العربية، وقراءة القرآن. وفتحوا في كل مكان في داغستان المدارس التي علموا فيها أيضاً اللغة العربية، وقراءة القرآن. ولا يوجد خلاف على تأثير القرآن في تطور الأدب العربي. يقول كتاب «المخطوطة العربية في داغستان»: «إن اللغة العربية والإسلام والأدب الإسلامي – كانت ثلاثة عوامل مهمة في قوة الحياة الثقافية وأصالتها في العالم الإسلامي وفي داغستان»[7].

وأدت داغستان دوراً مهماً في انتشار ثقافة المخطوطة العربية ضمن حدود الخلافة العربية، كما أدت دوراً مهماً في العلاقات التجارية والاقتصادية والثقافية مع بلدان الشرق الأوسط والأدنى.

وكان كثير من مواطني داغستان في تلك الفترة يدّرسون ويدرّسون في عدد من مدن الشرق الأوسط والأدنى. أشار هذا الكتاب إلى أنه «كان يدور حوار تأريخي ثقافي بين مدينتي الشرق الإسلامي في القرون الوسطى عاصمة الخلافة بغداد والعاصمة دربند»[8]. درس كثير من أهالي داغستان في أعظم مدرسة إسلامية في الشرق «المدرسة النظامية». وقد وجد هذا الأمر استمراراً منطقياً له في انتشار المخطوطات – الثقافية، وخصوصاً المخطوطات التي لها علاقة بمدرسة بغداد ومن هو تابع لها. وقد ظهر أثر ذلك في مجموعة من الكتب الداغستانية.

تميّزت المخطوطات في داغستان فيما بعد بالعمومية والشمولية وقد شملت مختلف صنوف الكتب:

تضمن الصنف الأول المخطوطات خارج حدود داغستان في بلدان الشرق الأوسط والأدنى، وقد وصلت إلى داغستان على مدى عصور متعددة.

تضمن الصنف الثاني نسخ المخطوطات من قبل كُتّاب داغستانيين. كتب حاجي حمزاتوف في كتابه «داغستان. العملية التأريخية الأدبية»: «كان الكُتّاب المحترفون المهرة في الخط العربي يعملون في القرون الوسطى في عدة قرى داغستانية، في قرية آقوشا، وكوباتشي، وكوموخ، وخونزاخ، وسوغراتل، وإيخراك، وباشلي، وانديري، وآخرى»[9]. وأخيراً الصنف الثالث، وهي المؤلفات الأصلية المكتوبة من قبل مؤلفين داغستانيين (وقد كتبت أغلبيتها باللغة العربية).

وتجدر الاشارة إلى أنه في الحقبة السوفييتية نفى الحزب

يتكلم الناس في داغستان بلغات تنحدر من ثلاث مجموعات: المجموعة الإيبيرية القوقازية و التركية والمجموعة الهندية





التقاليد الإسلامية تحكم الأسرة الداغستانية

الحاكم الشيوعي وجود تراث داغستاني مكتوب. وأكد أن السلطة السوفييتية هي التي منحت الشعوب في داغستان ثقافة الكتابة، ونفى الحزب وجود أي تراث داغستاني مكتوب باللغة العربية. وينقسم الأدب الداغستاني متعدد القوميات والمكتوب باللغتين العربية والأعجمية إلى (مدونات تاريخية، ومعجمات (قواميس)، وكتب دينية تعليمية، وخطب إسلامية ومذكرات).

وقد بقيت العلاقة سلبية تجاه كل ما هو مكتوب بالعربية إلى أن قام المستشرق الداغستاني م. سيدوف بكتابة بحثه في عام ١٩٦٠م (الأدب الداغستاني باللغة العربية في القرنين ١٨و١٩). إذ تم عرض الأدب الداغستاني، المكتوب باللغة العربية على اتساع موضوعاته وتنوعه (الفقه، والشعر، والصرف، والنحو، والطب، والرياضيات، والفلك) أمام علماء العالم وتناول المستشرق أعمال أكثر من مئة أديب داغستاني؛ إذ جمع مؤلفاتهم، وقام بتصنيفها ودراستها.

ويرجع الفضل له في تنظيم رحلات الاستكشاف العلمي في مناطق داغستان بغرض البحث عن المخطوطات.

وقد آتت هذه الرحلات ثمارها، فيشتمل مركز المخطوطات الشرقية في داغستان على أكثر من ٣ آلاف مخطوطة، يعود أقدمها إلى القرن الثاني عشر. كما تم جمع أكثر من ٦ آلاف وثيقة ورسالة تعود إلى علماء داغستانيين، ويتحدث عن التراث القانوني والمراسلات بين الحكام الإقطاعيين والمجتمعات الريفية.

وتم نشر مجمل جهود هذا العالم مع علماء مركز داغستان للاستشراق في كتاب صدر في عام ١٩٧٧م في موسكو عن دار النشر (العلم) تحت عنوان (كتالوج المخطوطات الشرقية).

وعرف العلماء في العالم فضل هذا الكتاب عن وجود أقدم المخطوطات الشرقية وأندرها في محج قلعة، وقد حصل هذا الإصدار على تقدير الأوساط الاجتماعية السوفييتية، التي قامت بمنح المؤلف ميدالية ذهبية في معرض المنجزات الوطنية.

إن التعرف إلى مجموعة المخطوطات في داغستان يؤكد أن هناك المزيد منها، وأنها انتشرت على نطاق أوسع مما هو متصور حالياً.

المراجع

١- تاريخ داغستان منذ أقدم العصور إلى نهاية القرن الخامس عشر؛ محمد راضي.
العوامل الملائمة الرئيسة لتنمية كل نواحي الحياة في المجتمع.
٢، ٣، ٤، ٥ - تاريخ داغستان، مصدر سابق.
٦- سكان كوباتشي، وثقافتهم: الرسوم التاريخية والإثنوغرافية. شيلينغ إي.م. موسكو لينينغراد، ١٩٤٩م.
٧- المخطوطة العربية في داغستان.
٨- المرجع السابق.
٩- داغستان العملية التأريخية الأدبية.

أمواج المذياع تتصاعد. الأطفال يصيحون. الصبيان الهزلى يضطجعون تحت سماء رمزية. الرجال يثورون تحت ضغط العولمة المخروقة. الريح ترمي الشك في النفوس التي تنفث الجو النتن في طرف هذا الزمن.

في وقت الأصيل تبدأ البرامج. يتصاعد موج الرؤية، بوصلة الهاتف والصحن اللاقط (دش)، ثم الناس يشتكون، ويضمرون حزنهم، ويرجعون إلى الأشعار.

فجأة تستيقظ سارية متأوهة، تزدري حتى القصعة، وفي السماء السحاب. ظله يشب في أمل: بعد أمل: لشهوتي البطن والجنس.

- «جهلة!» كاريو مخاطبًا نفسه وهو يحملق في مجموعة من الشباب.

- «في هذه البقعة سينزل غضب الله».

قميص هندي أصفر، لا بأس. فالطهارة تنبع من القلب. يتجول كاريو بحذائه القديم مرتديًا دثارًا قد بلي، اشتراه من سوق البضائع القديمة.. وهذان، الحذاء والدثار، دليلان على عمله وتفكيره وجهاده ودعوته، من باب إلى باب.

- «ذلك الولي كاليجاكا» قال أبو جان مستهزئًا:

- «بل هو الولي العاشر». استدرك ابن الاسكندر مستخفًا:

- «أنا ابن سارية، لست الولي كاليجاكا...». «لكما أن تدعواني بعلي سيد خان المرشد إلى الطريق المستقيم؛ لأن الله لن ينادي إلا بالأسماء الجميلة».

- «ما الذي غير كاريو؟» يتساءل أبو جان، وابن الإسكندر في حيرة واستغراب.

كاريو يمسح شعرات لحيته الطويلة المتدلية من ذقنه، الذي تركه ينمو منذ أربع سنوات. ويتجول غير تارك زقاقًا من الأزقة، يطرق الدواوين، وكل باب، وكل نافذة. الناس رجالاً ونساءً، شبابًا وشيوخًا يتهامسون ويشيرون إليه، هكذا بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا.

قميص كاريو ولحيته يمنعانه من رؤية المظاهر السيئة، بل عندما يرى الكافرات بشعورهن المسترسلة، وسيقانهن التي تثير الغريزة الحيوانية، سرعان ما يبصق، ويصب اللعنات في نفسه على هذه المظاهر. هكذا كاريو يبصق في اليوم سبعًا وثلاثين مرة.

- «أأنهيت الدراسة يا كاريو؟»

- «أنا سئمت الدراسة يا أمي في الكلية»

من ناحية الدين: الولد أمانة، هذا ما فهمته عندما كانت تدرس في أحد المعاهد في ذلك الوقت، الذي كانت تقوم فيه بمراسلة عشيقها، لكنها فهمت من الأمانة الجانب المادي.

وحسبما كان مقدرًا لها، تعيش سارية وحدها بعد وفاة زوجها، عندما كان كاريو بالغًا من العمر ثلاث سنوات ونصف نهار، وكانت سارية قد جعلت كل أملها في كاريو، كما جعل زوجها كل أمله فيه قبل ولادته.

قويت إرادة سارية، فباعت جواميس حظيرتها التي ورثتها من أبيها، لتغطي تكاليف تدريس كاريو في ألمانيا، وتنبسط أسارير وجهها، ويتسع صدرها عندما تتخيل كاريو طبيبًا مختصًا بأمراض الأذن المشهورة في قريتها.

لكن الرياح لا تجري كما تشتهي السفن، يقوم كاريو أمام سارية كالولي، مرتديًا حذاءً وقميصًا أصفر، بنظرة حادة تدل على يقينه الثابت.

يخفق قلب سارية.:

- إذاً توقفت عن الدراسة يا كاريو؟»



أحمد فطاني
إسلام آباد - باكستان



- «اسمي الآن علي سيد خان يا أمي».

في الواقع كاريو لا يرغب أن يكون طبيبًا مختصًا بأمراض الآذن. فهو لا يريد أن يهتم بالآذان التي لا يسمع بها الناس. أما سارية فكان العرق يتصبب منها، وكاد يغمى عليها عندما علمت أن كاريو أصبح مُلاً.

والفترة التي عاش فيها في ألمانيا، والتي لا تتجاوز سنة واحدة، كان كاريو فيها مترفًا وسط ظلمة مصابيح النوادي الليلية، والبارات، وومضات الأنوار التي أطفأت قوة روحه، ووقع تحت تأثير موسيقا الروك الصاخبة، وميوعة أصوات المغنيات الغربيات، وهن يغنين غناء الجان، وكان هذا الترف كالحيوان المفترس، وكاريو الفريسة التي سال من إبطيها عرق كوكاكولا.

ثم أصبح كاريو على أرصفة الشوارع، باحثًا عن شخصيته حتى وصل في النهاية إلى جنوب باكستان، وشارك في جماعة خاصة وجد فيها إنسانيته مرة أخرى.

أمواج المذياع لا تزال تقطع أوتار الآذان، والصبيان يقومون بتهوية أنفسهم بالقمصان، وكثير من الأبكار يضطجعن في أجنحة الفنادق، والرجال يتنهدون. وفي غضون ذلك لا توجد حكايات أبي نواس عند سارية، التي كان من عادتها أن تقف أمام عتبة دارها منتظرة ابنها كاريو، وهو عائد من مدرسته لتسأله عن دراسته، وفي الليل تُسمعه حكايات أبي نواس وفكاهاته، وفضائح مادونا.

آه... هذه التخيلات ابتلعتها الأرض، وبقي خيال زوجها الحبيب، الذي يجعلها تبتسم ابتسامة مرة في هيستريا، ولا تنطق ببنت شفة.

آه.. كاريو بدّل اسمه وتسمى بعلي سيد خان...

كان يستطيع أن يكون شيئًا، أنا حزينة لأجله، كاريو... كاريو... آه.

اليوم انطفأ شعاع الابتسامة وبريق الضحك، والناس يلصقون آذانهم بنوافذ بيت سارية وبابه.

ولا يجدون بداً من اقتحام البيت... إنا لله وإنا إليه راجعون...

كانت سارية ممددة، جثتها هامدة باردة وقد ارتسمت ابتسامة مرة على شفتيها.



العصامي، سعد بن مساعد / تاريخ وديوان بني عبدالله ابن عطفان في الجاهلية والإسلام.ـ الظهران: المؤلف، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٣٠٤ص.

هدف هذا الكتاب إلى النهوض بأمرين رئيسين أولهما: جمع وتوثيق كل ما يتعلق بقبيلة بني عبدالله بن غطفان من أنساب، وديار، وأيام، وحروب، وأعلام، في الجاهلية والإسلام. وثانيهما: عمل ديوان بني عبدالله بن غطفان الذي يشتمل على كل ما وجده المؤلف من شعر منسوب إلى شعراء بني عبدالله في الجاهلية والإسلام. وهو يوثق عددًا غير قليل من شعر شعرائها البارزين والمغمورين، الذين تناثرت أشعارهم في مصادر التراث، ولم يقدر لها أن تجمع في ديوان.

ويقع هذا الكتاب في سبعة فصول، خصص فصله الأول للحديث في نبذة موجزة عن قبائل قطفان، وجاء الفصل الثاني عن كتاب بني عبدالله الذي ذكره العلماء القدماء، واحتوى هذا الفصل الكشف أول مرة عن صنع كتاب بني عبدالله بن غطفان المفقود، وتطرق فيه إلى الدواوين التي وصلت إليه لشعراء بني عبدالله بن غطفان، والدواوين المفقودة، وجاء الفصل الثالث: عن نسب بني عبدالله، ووفادتها على الرسول صلى الله عليه وسلم، وإسلامها وجهادها في عصر صدر الإسلام، مع الإشارة إلى فضائل قبيلة بني عبدالله بن غطفان، وذكر مناقبها التي ذكرها المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتعرض في الفصل الرابع لديار بني عبدالله بن غطفان في ضوء ما ذكره علماء المنازل والديار، وذكر في الفصل الخامس: أيامها وحروبها في الجاهلية مع القبائل العدنانية والقحطانية، وتحالفاتها مع غيرها من القبائل وموقفها من حرب داحس والغبراء الشهيرة، وأفرد في الفصل السادس: للحديث عن مشاهير أعلام هذه القبيلة من الصحابة، والفرسان، والأدباء، والشعراء. وخصص الفصل السابع لديوان القبيلة، وقد قام فيه بجمع شعر بني عبدالله في الجاهلية والإسلام، وقسم الديوان إلى قسمين: ضم الأول شعراء بني عبدالله المعروف نسبهم، وضم الثاني شعر المجاهيل.



الاستدامة

مبدأ حق.. فهل يراد به حق؟!

رجب سعد السيد

الإسكندرية - مصر







من مظاهر التلوث .. وإحدى المظاهرات ضد التلوث

تشكلت، منذ عقد الثمانينيات، عدة لجان دولية سامية، اضطلعت بمهمة بحث حال العالم، والتباينات الواضحة بين الدول الغنية والفقيرة؛ فكان أن أتت إحدى هذه اللجان، (لجنة بروندتلاند) بمصطلح The Sustainable Development، الذي لا يزال بعض الناطقين بالعربية يختلفون في ترجمته، التي استقرت بين معظم المهتمين بالشأن البيئي على أنها: (التنمية المستديمة)، وتعرف - اصطلاحياً - بأنها: «التنمية التي تلبي حاجات الحاضر، من دون أن يكون في ذلك مساس بإمكانية أن تستوفي أجيال المستقبل احتياجاتها».

وتأسيساً على نتائج قمة الأرض في ريو عام ١٩٩٢م، شكل عدد من دول العالم الغني - بريطانيا، وألمانيا، وهولندا، وفنلندا، والسويد، وسويسرا، والنمسا، وكندا، ونيوزيلندا، وغيرها - لجاناً أو مجالس قومية للتنمية المستديمة، لتمثل إطاراً للعمل من أجل عالم مستديم؛ ينضم إليها - بصفتها منتديات للحوار - مشاركون من مختلف المشارب والتوجهات، من الحكومة، وقطاع الأعمال، والناشطين في المجتمع المدني، ليعملوا على دمج عنصر الاستدامة في خطط التنمية. وثمة اختلافات في تكوين أداء المجالس القومية للاستدامة الموجودة حالياً وطريقتها، غير أنها تتحد في أدوار رئيسة تؤديها ومنها:

- مساعدة الحكومات على اتخاذ القرارات، وصياغة السياسات.
- تسهيل التعاون بين المجتمع المدني والحكومة.
- تشجيع التعليم البيئي، والعمل على إيجاد إحساس جديد بالمسؤولية تجاه الشأن البيئي.
- العمل على تحقيق التوازن بين أهداف صون الطبيعة والازدهار الاقتصادي.

وكان واضحاً أنه، ومنذ سنوات قليلة مضت، قد حدث تصادم أيديولوجي عميق بين حتمية الأخذ بمبدأ الاستدامة، وأولويات الحكومات والشركات، التي يهمها تنشيط النمو الاقتصادي؛ وكان ذلك التصادم في أوضح صوره بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث تم تكوين المجلس الرئاسي للتنمية المستدامة في عام ١٩٩٣م، واستمر حتى عام ١٩٩٩م؛ وكان يرأسه ألبرت جور - نائب الرئيس الأمريكي - وكان مجلساً جاداً، ولكنه عاجز؛ وانصب اهتمامه على توفير مناخ أفضل للتفاعل بين المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، في علاقتها بالبيئة. غير أن واقع الأمر يقول: إن إدارة كلينتون لم ترتفع إلى مستوى التحدي لتطلق فعاليات برنامج قومي موسع للتنمية المستديمة.

وما إن تسلم الرئيس بوش مقاليد الأمور حتى عدَّ هذه المسألة زائدة على الحاجة، فتم إبطالها. وربما تكون الولايات المتحدة الأمريكية قد أصبحت في الوقت الراهن أول دولة في التاريخ لا يهمها إلا أن تعيش حاضرها، متجاهلة إلى حد كبير تبعات أنماط الاستهلاك السائدة بها، التي ستورث - إذا استمرت الأمور على المنوال ذاته - لأجيال المستقبل.

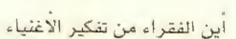
دور آخذ في التقلص

وثمة دلائل تقول لنا: إنه على الرغم من أن المجالس القومية للتنمية المستديمة لا تزال قائمة، فإن دورها آخذ في التقلص، ويقتصر على مجرد تقديم المشورة، من دون أن توكل لها أو مسؤوليات، أن أن تمتلك حق الاعتراض.

لقد أنشأ حزب العمال البريطاني، في عام ٢٠٠٢م، لجنة المملكة المتحدة للتنمية المستديمة، مكونة من عشرين عضواً، على أن يكون دورها استشارياً، فتعنى بالدفاع عن مبدأ الاستدامة في كل قطاعات المملكة المتحدة، وتستعرض مدى التقدم الذي يتحقق في مجال الاستدامة، ولتحاول - وتعمل على - بناء إجماع على الإجراءات والأعمال المطلوبة، شريطة أن يكون لهذه الإجراءات والأعمال مردودات ذات قيمة!.

كذلك الحال في ألمانيا، حيث يؤدي مجلسها القومي للتنمية المستديمة وظيفة محدودة، ويؤثر في نطاق ضيق جداً، مع أنه نشأ في أثناء ولاية حكومة ائتلاف حزبي من الاجتماعيين الديمقراطيين والخضر. ويتكون المجلس الألماني من ١٧ عضواً يمثلون منظمات وطنية ذات نفوذ، وينحصر الغرض من المجلس في تقديم المشورة إلى لجنة وزارية تهتم بوضع السياسات القومية الملائمة لتحقيق الاستدامة، ويقدم المجلس مقترحات بإستراتيجيات تنفيذية واقعية، ويشجع على قيام حوار وطني حول الاستدامة.

لو قدر للعالم كله أن ينهج نهج الدول المتقدمة في الاستهلاك، فإن كوكباً واحداً لن يكفينا لنعيش فيه


أين الفقراء من تفكير الأغنياء





ولا يختلف الحال في فرنسا كثيراً، إذ تم تشكيل «مجلس حقوق أجيال المستقبل» في عام ١٩٩٥م، وقام رئيس الجمهورية باختيار أعضائه، غير أن «جاك كوستو»، أول رئيس لهذا المجلس، فاجأ الجميع بتقديم استقالته من منصبه احتجاجاً على استئناف فرنسا تجاربها النووية في المحيط الهادي، لكون التفجيرات النووية تضرب أخلاقيات مبدأ الاستدامة في الصميم. ومنذ ذلك الحين، لم يسمع أحد عن هذا المجلس شيئاً يذكر.

ثم قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة الدعوة إلى ثالث مؤتمر قمة للأرض في عام ٢٠٠٢م؛ واختارت له أن يعقد في جوهانسبرج، وأن يحمل عنوان (قمة العالم للتنمية المستديمة). وقد صرح كلاوس توبيفر - المدير العام «السابق» لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة - قائلاً: «عندما قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة عقد مؤتمر قمة عالمي للتنمية المستديمة، لم يكن خافياً على أحد أن ما أحرز من تقدم في تنفيذ التنمية المستديمة، منذ قمة الأرض عام ١٩٩٢م، أصبح أمراً مخيباً للرجاء إلى حد كبير، فقد كان الفقر يضرب في الأعماق، والتدهور البيئي يستشري؛ وجاءت الجمعية العامة للأمم المتحدة لتقول: «إن العالم لم يعد بحاجة إلى جدل فلسفي أو سياسي جديد، وإنما إلى قمة للأفعال والنتائج».

العشوائيات من مسببات التلوث في مدن العالم



الفرصة الأخيرة

وكانت تلك القمة في جوهانسبرج فرصة لتجاوز أوجه القصور؛ وأخشى أن أقول: إن تلك الفرصة قد أدبرت، إذ لم يتحمس لها سوى عدد قليل من الحكومات، كان يدفعه إحساسه بخطورة الموقف، وكان لديه روح خلاقة: أما السواد الأعظم، فقد مال إلى المداهنة، وكبلته الحيرة، وغلبت عليه السلبية. فعلى سبيل المثال، وفي أثناء انعقاد المؤتمر، تردد في الأخبار أن أنهاراً وأفاريز جليدية في كوكبنا آخذة في الذوبان على نحو أسرع مما سبق، فماذا كان موقف إدارة جورج بوش؟.. لقد أفسدت مشروعاً قدمته الدول الأوربية، يتضمن أهدافاً تنظم إحلال الطاقة المتجددة في كل أنحاء العالم، على المدى الطويل؛ ونتيجة للموقف الذي اتخذته الولايات المتحدة الأمريكية، ومعها بعض الدول الأخرى، فقد أخفق المؤتمر في اتخاذ أي قرار بشأن التغيرات المناخية: وغاية ما توصل إليه هو اتفاق على زيادة استخدامات الطاقة المتجددة «في حالات الضرورة».

وعلى الرغم من كل ذلك، جاء كوفي عنان - السكرتير العام للأمم المتحدة السابق - ليصرح في المؤتمر الصحفي الختامي بجوهانسبرج قائلاً: «لقد جعل هذا المؤتمر من التنمية المستديمة حقيقة واقعة، وسيكون له فضل وضعنا على المسار الصحيح؛ للتقليل من حدة الفقر، مع صون البيئة، وهو مسار به نفع لكل البشر، فقيرهم وغنيهم، الآن ومستقبلاً». ولم يستطع غير نفر قليل من الحضور مشاركة عنان تفاؤله الواضح في تصريحه؛ فالحقائق أمامنا تقول: إن اقتصاد العولمة يعمل على اتساع هوة التفاوت العالمي، تحت تأثير بعض الشركات المتعددة الجنسيات.

ومن ناحية أخرى، فإن هيمنة الإنسان على الطبيعة

تصادم أيديولوجي عميق بين حتمية الأخذ بمبدأ الاستدامة، وأولويات الحكومات والشركات، التي يهمها تنشيط النمو الاقتصادي

آخذة في الازدياد، وهذا يعني أن نوعاً فرداً - هو «هومو سابنيس»، أي الإنسان - من بين كل أنواع الكائنات الحية، التي يقدر عددها بعشرات الملايين من الأنواع، يختص نفسه بنصف ما تنتجه الطبيعة سنوياً. إن مطالب البشر تتخطى حدود الموارد الطبيعية وقدراتها؛ كما أن الآثار الإيكولوجية المتخلفة عن أنشطتنا لا تتحملها الأرض وتفوق قدرتها الاستيعابية بنحو ٢٠٪، وبمعنى آخر فنحن ننخر رأسمال الأرض الطبيعي، ونفرط بما يتجاوز طاقة المجال الحيوي على التجدد. ولو قدر للعالم كله أن ينهج نهج الدول المتقدمة في الاستهلاك، فإن كوكباً واحداً - كهذا الذي نعيش عليه - لن يكفينا، إذ سيكون المطلوب ثلاثة كواكب؛ ومع ذلك فإن هذه الأمور الواقعية، جميعها، لم تلق من الحكومات إلا كل تجاهل في قمة جوهانسبرج، التي شهدت احتجاجاً شديداً من المنظمات الأهلية، التي كانت تريد أهدافاً ملزمة في مجال الاستدامة على مستوى الكون.

وقد ترتب على المؤتمرات الكبيرة، التي نظمتها الأمم المتحدة في السنوات الحالية أن نشأت لجان جديدة تابعة لهذه المنظمة، منها لجنة الانضباطية الكونية، ولجنة صون عموم العالم، ولجنة التغيرات المناخية، ولجنة تخفيف حدة الفقر؛ أما لجنة التنمية المستديمة، فتعد أكثرها أهمية؛ ووظيفتها العمل على تحقيق التكامل بين أهداف البيئة والتنمية من خلال الأمم المتحدة.

وتقوم لجنة الأمم المتحدة للتنمية المستديمة بوظائفها من خلال دورات تنفيذية، مدة كل منها سنتان؛ تختص كل دورة منها بحزمة من القضايا. وفي السنة الأولى من كل دورة، يتم التركيز في متابعة ما تحقق من تقدم وتقديره في تنفيذ ما اتفق على التزامه من برامج التنمية المستديمة في الأجندة ٢١، وفي جلسات اللجنة ذاتها، الوثيقة الصلة بهذا الشأن. وفي السنة الثانية من كل دورة تنفيذية، تصدر لجنة التنمية المستديمة قراراتها بالإجراءات التي تراها واجبة للتعجيل بالأعمال التنفيذية، وتعمل على تنشيط العمل الذي يساعد على التغلب على المعوقات والصعوبات، مع أخذ الدروس المستفادة في الحسبان.

نحت المصطلحات

لقد وصل مصطلح التنمية المستديمة إلينا في عالمنا الثالث، ككل المصطلحات العلمية، والاقتصادية، والأدبية، والفنية، والفلسفية، التي (تنحت) الغرب، فتلقفناه ورحنا نردده في خطابنا البيئي والاقتصادي كأمر مسلم به، وأحيانا كان ترديده يجري من باب الوجاهة، فيتشدق به أفراد

إلى أين المهرب من التلوث؟





المناطق الصناعية تلوث البيئة وتهدد صحة البشر

يهمهم أن (يرصعوا) حديثهم بألفاظ مستغربة، وكلمات أعجمية تستعصي على إدراك كثير ممن يستمعون إليهم، وربما على إدراكهم هم، أيضاً!

إن هذا المصطلح - الاستدامة - الذي يجري الترويج له بيننا منذ عقود قليلة، يعني - ببساطة - ترشيد استغلال الموارد الطبيعية، حتى لا تنهك، ولكي نسلمها للأجيال التالية بحالة مرضية؛ وهو - المصطلح - لا يفرق بين البلدان التي سبقت إلى تأسيس تقدمها ورفاهية شعوبها على حساب موارد يمتلكها (آخرون)، وبلدان يعيش فيها هؤلاء الآخرون، الذين يسعون إلى تعويض ما فاتهم، ويجتهدون لتنفيذ خطط إنمائية، ترفع من شأنهم ومستوى معيشتهم. وهكذا، تصبح الاستدامة (سقفاً)، يحد من تطلعات الفقراء، ويوقف نموهم، على الرغم من أن معظم موارد العالم الطبيعية - والحية منها، على وجه الخصوص - تقع على سطح أراضي ما يسمى بالعالم الثالث، وفي أعماق تربته وبحاره!.

ولا شك أن ظاهر المبدأ أخلاقي براق، ولكن حقيقته تنكشف على أرض الواقع، حين تزوِّر عنه الإدارات الحاكمة في الدول الغنية، كما أسلفنا، وحين تتنكر له دول العالم المتقدم، وتلتف لتواصل نهب ثروات العالم الثالث، مستترة وراء الهياكل الضخمة للشركات المتعددة الجنسيات، يدعمها الفساد المحلي الذي تعاني منه شعوب العالم الثالث، وتعطيها شرعية زائفة أحكام السوق التي تعمل تحت مظلة العولمة.

المراجع

1- Sustainability, a New Way to Look at the World. Mircea Malitza.
www.clubofrome.org/docs/confs/malitza moscow ac ٢٠٠٠.doc

2- Education for Sustainability. From Rio to Johannesburg:Lessons Iearnt From a Decade of Commitment. Areport has Been Prepared by UNESCO in its role as Task Manager for Chapter ٣٦ of Agenda ٢١ and the Intemational Work Programme on Education. Public Awereness and Sustainability of The United Nations Commission on Sustainable Development (CSD).

3- The Movement for Sustainability: A Socialist Perspective.
www.qeocities.com/mnsocialist/famers.htmi

4- Sustainable Resources - Solutions to World Poverty
www.sustainableresources.org/

5- Energy for Sustainable Development
http://www.un.org/esa/sustdev/sdissues/energy/enr.htmi

6- Sustainabel Development- Wikipedia. the free encyclopedia.
http://en.wikipedia.org/wiki/sustaiable development

٧- رجب سعد السيد (ترجم): تصور لمستقبل العالم - إنشاء مجلس مستقبل العالم - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت/ عمان - ٢٠٠٧م.



بمشاركة مجموعة من الكتاب والباحثين العرب
ملتقى حول «الثورة التحريرية من خلال الأدب العربي»

الجزائر: انشراح سعدي

اختتمت مؤخراً بالجزائر العاصمة فعاليات ملتقى حول «الثورة التحريرية من خلال الأدب العربي»، بمشاركة كتاب وباحثين ومفكرين من ١٠ بلدان عربية. ونظمته المكتبة الوطنية في إطار تظاهرة «الجزائر عاصمة الثقافة العربية عام ٢٠٠٧م».

وعبر أمين الزاوي -المدير العام للمكتبة- في كلمته عن مدى تأثير الثورة الجزائرية في النصوص الأدبية العربية بمختلف أشكالها..

وقال مدير المكتبة الوطنية : إن أقلام سليمان العيسى، وعبدالرحمن الشرقاوي، ونازك الملائكة، وخليل حاوي، وغيرهم، شكلت امتدادًا لصوت الرصاص في الأوراس، وجرجرة، وفي مختلف أرجاء الوطن.

وبعد أن أشاد بالكتابات التي دونها أدباء جزائريون في زنزانات سجون الاستعمار، على غرار مفدي زكريا، وبشير حاج علي، ومصطفى الأشرف، وغيرهم، وصف الزاوي دماء الأمين العمودي، ومولود فرعون، وعلي الحمامي، وغيرهم امتدادًا لدم الشهداء.

وأشادت الكاتبة اللبنانية نور سلمان بعبقرية الثورة الجزائرية في تخطي كل الفروق، سواء أكانت لغوية أم عرقية أم جنسية بين أبناء الوطن الواحد، في سبيل توحيد رؤيته النضالية. وبهذا الصدد أشارت الكاتبة اللبنانية إلى أن الجزائريين - الذين كتبوا باللغة الفرنسية - هم أدباء جزائريون بالدرجة الأولى، مهما أدرجت أسماؤهم في موسوعات غربية؛ لأنهم لم يتخلوا عن الخصوصية الجزائرية في كتاباتهم، ولا عن الخط الثوري الرافض للاستعمار.

وأوضحت الأديبة زهور ونيسي - الوزيرة السابقة - أن الثورة الجزائرية مازالت مادة خام للكتابة الأدبية، على الرغم مما كتب حولها؛ مشيرة إلى أن الكتابات الجزائرية القليلة التي كتبت عن الثورة هي لمجاهدين ومجاهدات شاركوا في صنع الحدث.

ومن جهة أخرى، استمتع الحاضرون في الجلسة الافتتاحية لهذا الملتقى، الذي دام يومين، بتركيب شعري في شكل مسرحي، حمل عنوان «جميلة بوحيرد في الشعر العربي» من إعداد عبدالناصر خلاف وإخراجه، عن فكرة الروائي أمين الزاوي.

ويتضمن هذا التركيب مجموعة منتقاة من أجمل ما خط من أشعار حول نضال المجاهدة جميلة بوحيرد، لعدد من الكتاب العرب، على غرار سليمان العيسى، ونزار قباني، وبدر شاكر السياب، ومحمد الفيتوري، وغيرهم.

وعرض الدكتور أحمد منور كتابه «الأدب الجزائري باللغة الفرنسية» الذي يتطرق إلى المراحل المتعددة التي شهدها الأدب الجزائري باللغة الفرنسية. وقد أشار الكاتب إلى أنه قد لاحظ منذ بداية اهتمامه بالموضوع ضعف عدد الجامعيين الجزائريين الذين رسخوا أبحاثاً ودراسات لهذا الأدب، ما عدا غاني مراد، ونجاة خدة، ولخضر معقال.

كما أوضح الدكتور منور أن معظم الدراسات حول هذا الأدب كانت من إنجاز فرنسيين منهم الراحل جون ديجو، الذي سخر كل حياته لهذا الأدب، أو البروفيسور شارل بون الذي أصدر عدة



كتب قيمة في الموضوع. كما أن كتابه ركز في أدب السنوات من ١٩٢٥م - ١٩٥٢م. التي برز فيها المؤلفون عبدالكريم حاج حمو، ورشيد زناتي، وجميلة دباش، وشكري خاجة.

وأشار الكاتب إلى أن دراسته شملت ١٧ رواية، مضيفًا أن مؤلفي ما قبل الاستقلال لم تكن لهم لغة أخرى، ما عدا الفرنسية، لكن أدبهم كان يعبر عن واقع جزائري.

وينطلق الدكتور منور للإجابة عن هذا السؤال من الجدل، الذي برز عام ١٩٦٠م بمجلة الأخبار الأدبية الفرنسية للإجابة عن هذه الإشكالية. وكان هذا الجدال قد تمحور حول سؤال عمن هو الكاتب الجزائري؟ وشارك فيه عدد من الكتاب من مختلف الإثنيات، فكتب جول روا عن موضوع تنوع أصول الكتاب الجزائريين، فتحدث عن الثراء الروحي للجزائر. وظلت الردود تراوح مكانها، إلى أن جاء رد أو مقالة مالك حداد عن الأصفار تدور في فراغ.

ومن فعاليات هذا الملتقى مجموعة من المحاضرات ألقاها الأساتذة المشاركون على مدار يومين، وهي ذات صلة بالثورة الجزائرية والأدب العربي، مثل: «أثر الثورة الجزائرية في الأدب اللبناني» للكاتب إميل يعقوب، و«حضور الثورة الجزائرية في الوجدان الأدبي في المغرب» للكاتب أحمد المديني، و«صورة لثورة الجزائر في الكتابة الأدبية بالعراق» للأديب عبد الرحمن مجيد الربيعي، وغيرها من المداخلات. تجدر الإشارة إلى أنه تم على هامش افتتاح الملتقى تكريم الكاتبة اللبنانية نور سلمان، لمجهوداتها في ترقية الأدب العربي؛ ولاهتمامها بأدب الثورة الجزائرية بصفة خاصة، كما كرمت المؤسسة الأدبية العربية «تخليد عمالقة الشرق» الكاتب أمين الزاوي بمنحه درع «عمالقة الشرق».

كما يذكر أنه في إطار تظاهرة «الجزائر عاصمة الثقافة العربية عام ٢٠٠٧م» تم إصدار ٩٤٠ عنوانًا .

محاضرة عن عمارة المساجد العثمانية بتركيا

نظمت الجمعية السعودية لعلوم العمران فرع الرياض، بالتعاون مع سفارة الجمهورية التركية بالمملكة العربية السعودية، محاضرة للمهندس المعماري محمود زين العابدين - مؤسس مركز شادروان للتراث العمراني بالجمهورية العربية السورية - تحت عنوان: عمارة المساجد العثمانية بتركيا، وذلك مساء يوم الأحد ٢٩ من ذي القعدة سنة ١٤٢٨هـ/ الموافق ٩ ديسمبر عام ٢٠٠٧م، بقاعة الملك عبدالعزيز للمحاضرات في مركز الملك عبدالعزيز التاريخي.

بدأ الحفل بكلمة الدكتور عبدالإله خالد علام - رئيس الجمعية السعودية لعلوم العمران فرع الرياض، ونائب رئيس مجلس إدارة الجمعية - رحب فيها بالحضور، كما ألقى سفير الجمهورية التركية بالمملكة العربية السعودية كلمة شكر فيها الجمعية السعودية لعلوم العمران على تنظيمها هذه المحاضرة، التي تسهم في التعريف بعمارة المساجد العثمانية.

بعد ذلك بدأ المهندس محمود زين العابدين محاضرته مستعرضًا كثيراً من المساجد العثمانية المنتشرة في تركيا، وخصائصها الفنية، موكدًا أهمية المرحلة التي شهدتها العمارة الإسلامية خلال العصر العثماني، من خلال طرازها المعماري الثري، لتصبح مصدراً لكثير من المعماريين الذين استفادوا من تلك المدرسة، وقاموا بتطويرها في عدد من المساجد.





كتاب

دليل تطوير هيئة التدريس

فهد مطلق العتيبي
القصيم - السعودية

يعد التعليم العالي في أي بلد الركيزة الأساسية التي تقوم عليها نهضة ذلك البلد. إذ إن تقدم البلدان يقاس بجودة مؤسسات التعليم العالي فيها، ونوعية مخرجات هذه المؤسسات. ومع الانفتاح المعرفي، والانفجار المعلوماتي غير المسبوق، أصبح هناك منافسة شديدة بين مؤسسات التعليم العالي - محليًا كانت أو إقليميًا أو عالميًا - في مستوى التعليم فيها. ومن هنا جاء الاهتمام بأعضاء هيئات التدريس في هذه المؤسسات التعليمية؛ لكونهم المفاتيح الحقيقية للنهوض بالمستوى التعليمي.

والكتاب الذي نعرض له اليوم يعد أحد أهم الكتب التي تناقش هذا الموضوع، والتي لاقت رواجًا كبيرًا على المستوى العالمي. ولقد اطلعت على الكتاب بلغته الإنجليزية تحت عنوان A Guide to Faculty Development قبل عدة سنوات، وكم أثلج صدري رؤية هذه الترجمة العربية التي جعلت هذا الكتاب متاحًا أمام شريحة كبيرة من المهتمين. إذ يمثل هذا الكتاب حلقة في سلسلة الكتب المترجمة من قبل وزارة التعليم العالي مشكورة، بالتعاون مع مكتبة العبيكان.

عرض الكتاب

يتحدث الكتاب الذي حرره كل من كاي هير جيلسباي، وليندا هيلسين، وإميلي وادمورث عن كيفية تطوير مهارات الأساتذة، ورؤساء الأقسام، والإداريين في مؤسسات التعليم العالي، ولقد قدم له معالي وزير التعليم العالي الدكتور خالد العنقري. وقد قسم الكتاب إلى ستة أبواب، كل باب تم تقسيمه إلى عدد من المحاور.

الباب الأول : تطوير أعضاء هيئة التدريس

يحمل العنوان الآتي: «وضع برنامج لتطوير أعضاء هيئة التدريس»، تم الحديث عن كيفية تطوير أعضاء هيئة التدريس في أربعة محاور:

الأول: هو تطوير أعضاء هيئة التدريس، والتدريس، والتنظيم: الخيارات والاصطفاءات بقلم روبرت م. دايموند - رئيس الأكاديمية الوطنية للقيادة الأكاديمية - فقد شدد دايموند على أهمية وجود هيئة تدريسية متفانية، وتمتلك المواهب اللازمة؛ لكي تنجح العملية التعليمية. ولكي تنجح هذه الهيئة التدريسية في مهامها فهي بحاجة إلى بيئة مساندة، تتيح لهذه الهيئة الإمكانات اللازمة. ومن بين الخيارات التي طرحها دايموند لتحسين نوعية التدريس، عدد من الأنشطة المستقلة والهادفة إلى الرقي بمستوى التدريس، في مؤسسات التعليم العالي، إضافة إلى إنشاء مكتب مستقل مهمته متابعة كل ما يتعلق بالعملية التحسينية لمستوى التدريس. كما أن هناك ثلاث وسائل مقترحة من قبل دايموند للوصول إلى الجودة الأكاديمية الشاملة: التركيز في تطوير هيئة التدريس، والتركيز في تطوير التدريس (المقررات)، وأخيرًا التركيز في تطوير العملية التدريسية (الهيكل).

وفي المحور الثاني تحدثت ماري دين سور شينللي عن المبادئ العشرة للممارسة الجيدة في إنشاء مراكز التدريس والتعليم واستبقائها. ومن بين هذه المبادئ التي ذكرتها الباحثة: ضمان قيادة برامج، وإدارة تتمتع بالفاعلية. إذ إن من الأمور الحاسمة في نجاح العملية التطويرية وجود قيادي ناجح.

هذا المدير يجب أن يكون قريبًا يستطيع الجميع الوصول إليه. ومن بين هذه المبادئ تأكيد ملكية هيئة التدريس برامج التطوير. إذ يجب أن تنبع البرامج التطويرية من أعضاء هيئة التدريس أنفسهم. كما أن من تلك المبادئ العشرة تشجيع الالتزام الإداري. فالإدارة يجب أن تكون ملتزمة عملية تطوير التدريس؛ لأنه إذا كانت هذه الإدارة ملتزمة هذا الأمر فإن هذا سيقود إلى انخراط جميع أعضاء هيئة التدريس؛ في العملية التطويرية. كما أن وجود الإدارة الملتزمة يضمن إيجاد الميزانية اللازمة. وتؤدي الإدارة الملتزمة عملية تطوير التدريس دور حلقة الوصل بين الإداريين الأكاديميين ومديري الجامعات الأخرى، وهذا ينعكس إيجابًا على العملية التطويرية برمتها.

كما شملت المبادئ التي تحدثت عنها الباحثة استحداث مبادئ توجيهية، وأهدافاً واضحة، وإجراءات تقويم، إذ يجب أن يتعرف أعضاء الهيئة التدريسية إلى مبادئ الإدارة فيما يخص عملية تطوير التدريس، كما يجب أن تكون أهداف الإدارة واضحة للهيئة التدريسية أيضًا. ومن ضمن المبادئ العشرة التي تحدثت عنها ماري دين سور شينللي، مبدأ تشجيع الحياة الجامعية والاجتماعية، لأن غربة العمل التي يشعر بها كثير من أعضاء هيئة التدريس تحول دون تطوير عملية التدريس، ومن هنا وجب خلق جو من التعارف والعلاقات الحميمية بين هؤلاء الأساتذة. ومن ضمن المبادئ، مبدأ توفير تدابير للتقدير والمكافآت. لأن محاولة إقناع هيئة التدريس للانخراط في العملية التطويرية بحاجة إلى وجود نظام حافز.

وفي المحور الثالث تحدث ديليفي ل. رايت، عن أنواع البرامج ونماذجها الأولية. بحيث يجب أن تكون برامج التطوير فردية تتناسب مع البيئات المحلية. كما عرضت لعوامل البرامج المختلفة: من قيادة، ومجتمع مؤسسي الهيئة التدريسية، وتوافر الموارد وغيرها. كما تحدثت الكاتبة عن الفروق بين المراكز على نطاق الجامعات، والمراكز ذات الأغراض الخاصة.

وفي المحور الرابع تحدث ل. دي فينك عن إنشاء برنامج لتطوير التدريس، وقد أخذ الباحث جامعة أوكلاهوما مثالاً؛ إذ شدد الباحث على أربعة أمور لنجاح أي برنامج تطويري، الأول: ضرورة تمتع مطور التدريس بسعة الأفق، وسعة الاطلاع. والثاني: وجوب أن تلبي أنشطة البرنامج احتياجات هيئة التدريس المحلية. والثالث: ربط البرنامج ودمجه كلياً مع احتياجات أفراد آخرين وأنشطتهم في نطاق المؤسسة التعليمية. والرابع: ضرورة حرص العاملين في البرنامج على تطوير الذات.

الباب الثاني: طرائق تدريس بديلة

جاء تحت عنوان: تقويم ممارسة التعليم، وقد تم تقسيم هذا الباب إلى عدد من المحاور:

المحور الأول: تحسين تقويم التدريس الجامعي بقلم ل. دي فينك. لأن مسألة كيفية تقويم التدريس مسألة في غاية الأهمية في مؤسسات التدريس والتعليم العالي. ولكي يعمل الأساتذة كأفراد على تحسين التدريس، فإنه لابد أن يكون لديهم طريقة ما لمعرفة التمايز بين طرائق التدريس واستخدام الأفضل.

وبالمقابل فإن المؤسسات التعليمية بحاجة إلى وجود نظام تقويمي يتم على أساسه تمييز المعلمين المتميزين. وفي هذا المحور يرى دي فينك ضرورة منح الطلاب الفرصة لتقويم

البيئة المساندة أساس نجاح العملية التعليمية







البرنامج التطويري تعزيز لقدرات عضو هيئة التدريس

الأساتذة، ولكن هذا التقويم يجب أن يصاحب بتقويم ذاتي من قبل الأستاذ نفسه.

وفي المحور الثاني، تناولت كارون جيه لويس عملية الاستشارة الفردية، إذ ترى الباحثة أن عملية الاستشارة بين فرد وفرد من أعضاء هيئة التدريس أمر في غاية الأهمية. لأنها تتيح اكتشاف نقاط القوة والضعف، والبحث عن طرائق تدريس بديلة. ولكي تنجح عملية الاستشارة الفردية لابد من الحصول على المشاركين؛ فأعضاء هيئة التدريس في مؤسسة ما بحاجة إلى الاقتناع بأهمية العملية التطويرية؛ لكي يساهموا بفاعلية في الاستشارة الفردية.

أما المحور الثالث فحمل عنوان: «مشاهدة إلقاء الدرس في الفصل: المشاهد بوصفه متعاوناً». فقد تحدث فيه لو آن ويلكرسون، وكارون جيه لويس عن أهمية المشاهدة المباشرة لأداء أعضاء هيئة التدريس إذ يرى الكاتبان أن عملية التغذية الرجعية للأساتذة خلال مشاهدة إلقاء الدرس تعد من أهم الطرائق لتحسين العملية التعليمية، ومرد ذلك أنها توفر لكل أستاذ على حدة معرفة احتياجاته الخاصة. كما أن مشاهد الدرس لا يحتاج إلى أن يعد له تجهيزات خاصة ومعقدة في الفصل، ولكي تنجح المشاهدة لابد أن يكون هناك اجتماع قبل المشاهدة بين الأستاذ والمشاهد لمعرفة دور كل منهما.

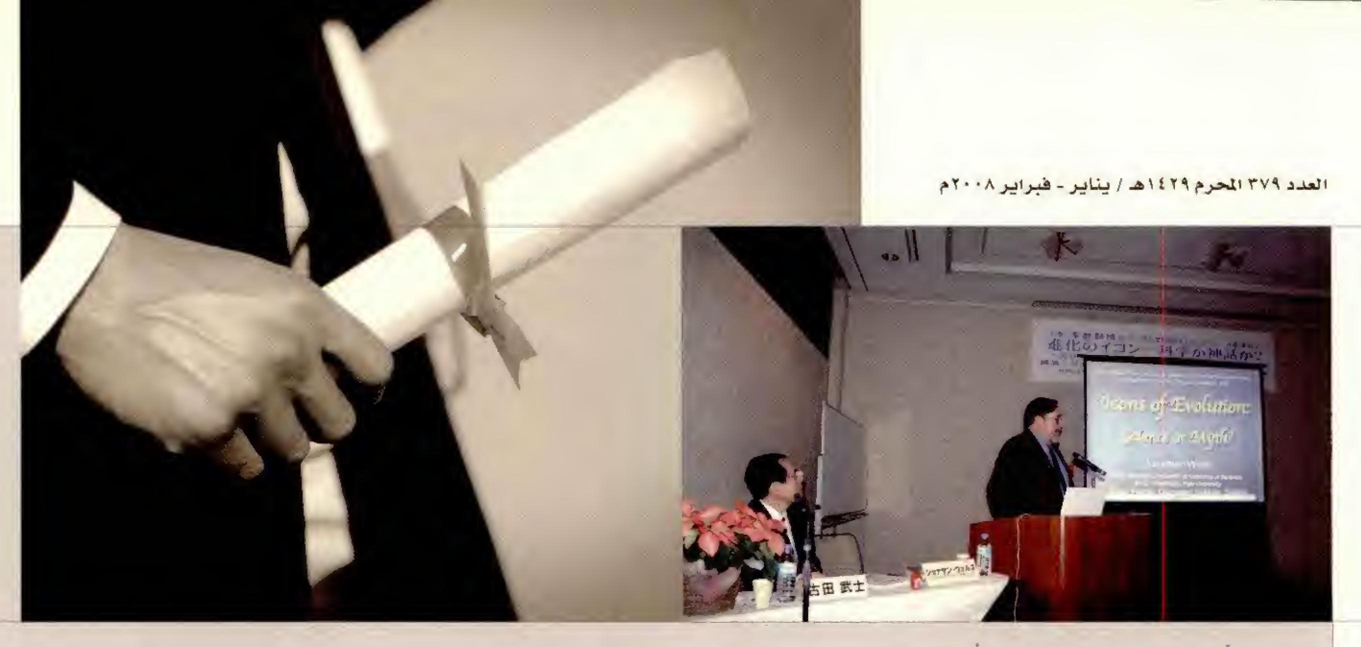
في المحور الرابع: تحدثت نانسي داياموند عن «تشخيص تدريس المجموعات الصغيرة استقصاء مدركات الطلاب المتعلقة بالتدريس» إذ ترى نانسي ضرورة مقابلة الطلاب كمجموعة، ومعرفة مدركات الطلاب المتعلقة بعملية التدريس، وهذه المقابلة تمر عبر عدة مراحل، أولاها: الإعداد للمقابلة. وهذه تشمل المقابلة بين المدرس والمستشار للتركيز في قيمة مدركات الطلاب؛ لأن العملية برمتها لن تنجح ما لم يقتنع المدرس بأهمية رأي الطلاب. ثم تأتي الخطوة الثانية، وهي إجراء المقابلة، وغالبًا ما تكون مجموعات الطلاب تراوح بين ٦ و ٨ طلاب، ثم الخطوة الثالثة، وهي خطوة ترتيب المعلومات، ثم مرحلة إدارة جلسة التغذية الرجعية، وأخيرًا الخطوة الخامسة، وهي خطة المدرس من أجل الاستجابة للطلاب.

وفي المحور الخامس تحدثت جيل دي جينسون تحت عنوان: «لو كنت أعرف في ذلك الوقت ما أعرفه الآن»، عن السنة الأولى لمستشاري هيئة التدريس، فقد منحتهم عشر وصايا، لعل من أهمها: ضرورة معرفة حدود الوظيفة، والتعامل مع كل معلم حسب ظروفه الخاصة، وأهمية معرفة كيفية تدوين الملاحظات، وكذلك أهمية الحفاظ على سرية العمل.

الباب الثالث: إستراتيجيات عملية

المعنون: «إستراتيجيات عملية» تحدثت سوزان إيه هولتون في المحور الأول عن تعزيز البرنامج المتعلق بالتطوير المهني، إذ يجب أن يكون هناك مهارة في اختيار الأوقات المناسبة لإرسال البرنامج التطويري لأعضاء هيئة التدريس، يتناسب مع أوقات الإجازة الصيفية وبداية العام الدراسي، ويمكن استخدام وسائل التقنية الحديثة للتواصل مع العملية، كالإنترنت، والبريد الإلكتروني، وغيرهما. كما أعطت سوزان بعص النصائح المهمة المتعلقة بعملية الترويج التي من أهمها تكوين شبكة من الصداقات من شأنها تيسير العملية الترويجية.

أما المحور الثاني فتحدثت فيه ليندا هيلسن، وأميلي سي عن إقامة ورش عمل ناجحة؛ لأنه من المهم لنجاح الورشة



آراء الطلاب مهمة لتطوير قدرات أعضاء هيئة التدريس

العملية أن يكون هناك تخطيط جيد يشمل: اختيار مقدم البرنامج، ثم تهيئته، وكذلك اختيار المدة والتاريخ، وبعد ذلك تأتي مرحلة الترويج لورشة العمل.

لورا بورد، ولينك فيش، وماربين ويمر، تحدثوا عن أفكار للرسائل الإخبارية الجامعية في المحور الثالث، إذ يرى الكتاب أن نجاح الرسالة الإخبارية يكمن في اسمها، كما يجب أن تتضمن الرسالة الإخبارية مادة جوهرية، وكذلك يجب أن تحتوي على أسماء المراجع والمعلومات ذات الأهمية، كما يجب أن يكون للرسالة الإخبارية غاية واضحة، مثل تقديم معلومات عن التدريس الفعال، ومناقشة أساليب التدريس والتعليم.

وفي المحور الرابع تحدث لي آن هـ. رادزوفورد عن «عامل الخوف: جعل التكنولوجيا لعبة أطفال بالأساسيات» إذ تنادي الكاتبة بضرورة كسر حاجز الخوف من التكنولوجيا، حينها تتحول التكنولوجيا إلى لعبة أطفال.

في المحور الخامس تحدثت ليندار هيلسن عن «نشرة مفيدة: إيجاد واستفتاء حوار إيجابي في الفصل» فقد ركزت الكاتبة في النشرة التي يتم توزيعها على العاملين مع هيئة التدريس سواء في جماعات صغيرة أو غيرها.

الباب الرابع «مخاطبة جماهير محددة».

في المحور الأول تحدثت آن فالو كاس تحت عنوان «صعد فعاليتك في المنظمة: تعاون مع رؤساء الأقسام»، إذ ترى الكاتبة أن رئيس القسم يعد المحور في العملية التطويرية للتدريس، ومن هنا تنادي بضرورة توفير تدريب متواصل لرؤساء الأقسام في عدة مجالات، مثل: إنشاء الفرق، وإيجاد جو تواصل مساند، وتفويض هيئة التدريس، ثم تعلم كيفية جعل جودة التدريس نشاطًا متواصلاً لتطوير هيئات التدريس، أيضًا يجب تدريب رؤساء الأقسام على خلق جو حافز للبحث العلمي يمكّن أعضاء هيئة التدريس من مواصلة أعمالهم.. وكذلك يجب أن يتدربوا على إدارة الصراع في الأقسام.

وفي المحور الثاني: «الوصول إلى الذين لا يمكن الوصول إليهم: تحسين تدريس المدرسين الضعاف» تحدثت آن ف لوكاس عن أهمية الاهتمام بالمدرسين الضعاف، لأن من الطبيعي أن تبعث المؤسسات التعليمية بأعضاء هيئة التدريس الأكفاء لحضور الدورات التدريبية لتطوير العملية التعليمية، لكن ما بال الأعضاء الضعاف؟

هنا مرة أخرى تقع المسؤولية على عاتق رؤساء الأقسام، إذ يجب أن يستشعروا أن عملية تحسين أداء المعلمين الضعاف تقع على عواتقهم، وفي الاستبانة التي أجراها لوكاس يتبين أن أغلبية رؤساء الأقسام لا يرون مساعدة المدرسين الضعاف على تحسين التدريس من مسؤولياتهم، لذلك يجب أن تكون هناك إستراتيجية جيدة للوصول إلى هؤلاء المدرسين الضعاف، وتطوير أدائهم الوظيفي.

«التعلم الذي يقوم على أساس المشكلات» هو المحور الثالث



فاعلية المتعلم تزداد كلما كانت مجموعة التعلم صغيرة

في هذا الباب الذي تحدث فيه ريتشارد جي بتبريوس عن البرنامج التربوي، الذي تم تدشينه في عام ١٩٦٩م، في كلية طب جامعة ماكماستر والذي عرف فيما بعد باسم «التعلم الذي يقوم على أساس المشكلات»، هذا النوع من التعلم يستند إلى عدة مبادئ منها:

أولاً: التعلم يستند إلى حل المشكلات ولا يستند إلى فروع المعرفة.

ثانيًا: فاعلية المتعلم تزداد كلما كانت مجموعات التعلم صغيرة.

ثالثًا: يجب أن يكون التعلم موجهاً للطالب.

رابعاً: التعلم تعاوني.

الباب الخامس: التنوع الثقافي

جاء يحمل عنوان: «معالجة التنوع»، ففي المحور الأول «تشكيل وتصميم وتنفيذ فعاليات تطوير الهيئة الدراسية المتعددة الثقافات»، تكلم كريشين ستانلي على التغيير الطارئ على بيئة التعلم، إذ أصبح هناك تمازج متعدد الثقافات بدلاً من قصر الطلبة على البيض من أبناء الطبقة الوسطى العليا: ومن أجل الاستجابة لاحتياجات هيئة التدريس المتعددة الثقافات، يجب أن يكون القائم على العملية التطويرية على إلمام بالتدريس، والتنوع المتعدد الثقافات في المجال الأكاديمي، ويمكن أن ينعكس هذا الإلمام على إيجاد مؤسسات تأخذ في حسبانها التنوع، مثل: مكاتب الأقليات، ومكاتب لخدمة الطلاب الدوليين... إلخ.

في المحور الثاني: «أساليب معالجة التنوع في قاعة الدراسة»، تحدث لي وارن عن أهمية إيجاد طرائق لمعالجة التنوع في القاعات الدراسية.

دليل اللجان

تمت عنونته «دليل للجان تطوير هيئات التدريس: الأهداف والهياكل والممارسات».

في المحور الأول: «أسس لجان تطوير هيئات التدريس» تحدث جويس بوفلاكس لونده، ومادلين ماير هيلي عن تعريف تطوير هيئة التدريس، وأنه ينقسم إلى تطوير التدريس: (المناهج، المقررات)، والتطوير التنظيمي: (بنية المؤسسة)، كما تحدثا عن أهداف لجان تطوير هيئة التدريس.

في المحور الثاني: «أسئلة وإجابات بشأن لجان تطوير هيئات التدريس» تحدث عن بعض الأسئلة الخاصة بلجان تطوير العملية التدريسية، مثل: ماذا يستطيع عميد أكاديمي فعله للبدء بتطوير هيئة التدريس؟

كيف يتصل تطوير هيئة التدريس بتقويم هيئة التدريس؟

وكيف يمكننا تحسين حضور أنشطة تطوير هيئة التدريس؟

في المحور الثالث: «قائمة بالأشياء الواجب تذكرها والمتعلقة بلجنة تطوير هيئة التدريس، تحدث الكاتبان أنفسهما عن عضوية لجنة تطوير هيئة التدريس، والانخراط مع نطاق الكلية، وعملية تقويم الاحتياجات، والدعم المالي، وغيرها من الأشياء المهمة والمتعلقة بلجنة تطوير هيئة التدريس.

في المحور الرابع: «الموارد المتاحة للجان تطوير هيئات التدريس» تحدث المتفقان أنفسهما عن أهمية حضور المؤتمرات والمنظمات لأعضاء لجنة تطوير هيئات التدريس، كما تحدثا عن المنشورات في العملية التطويرية، وعن الاستبانات، وقوائم الجرد، وعن جماعات المصالح الخاصة، كما تحدثا عن الموارد البشرية.



المـــرأة والمـــرآة

عبدالمجيد الإســداوي
الــدمـــام - الــســعـوديــة

ربطت الأمثال الشعبية ونحوها من الأقوال المأثورة ربطاً وثيقاً بين المرأة - التي تحرصُ دائماً وأبداً على الظهور بكل ما أوتيت من دلائل الحســن والجمـال، من جهة - والمرآة - تلك الأداة الكاشفة والمشرقة والمعينة لها على تحقيق غاياتها - من جهة أخرى.

ومن قديم أشارت أمثالنا الشعبية العربية إلى كل من (مرآة المضر) ضاربة بها المثل الأعلى في النقاء، والجلاء، وحســن الصيانة، مثلها، في ذلك مثل (مـرآة الصنـاع)، وهي الصانعة الحاذقة، والماهرة، التي تبدو مرآتها دائماً في تمام الصفاء والبهاء والتجدد والإشـراق؛ لأن صاحبتها دأبت على حســن اختيارها وصيانتها مما قد يشينها، أو يقلل من قيمتها، وقريب من شأن هاتين المرآتين ما تعارف عليه العرب القدماء، بإشارتهم إلى (مرآة الضنينة)، التي تحرصُ صاحبتها على الضنّ بها، وعدم التفريط فيها لسـواها من أسرتها، أو أترابها، وهذا ما يجعلها، دائماً مثلاً أعلى في حسن الهيئة، والمحافظة والنقاء.

أما الغريبة التى تزوجت في غير أهلها، فهي أشد ضناً بسبب حاجتها المتجددة الماسة إليها، حتى تبدو في أبهى منظر، وأحسن زينة في مواجهة نسـاء أهل زوجهـا، ولذلك ضرب بها العرب المثل فقالوا: (أنقى من مرآة الغريبة) (وأوضح من مرآة الغريبة).. دلالة على النقاء، والجلاء والوضوح وحسن التصون واللمعان.

وقد اعتمد الفلسطينيون المعاصرون على بعض دلالات هذين المثلين، فصاغوا مثلهم الشعبي العامي قائلين: (مراية الغريبة دايماً بتلمع).

وعلى عكس هذه المرايا الأربع بدلالاتها المشتركة الناطقة بالحســن والإشراق نلاحظ إشارتهم إلى (مـرآة الخرقاء) وهي الجارية الحمقاء المبتذلة، التي لا تحسن تعهد مرآتها، ولا تجيد صيانتها، وهذا ما يجعل الصدأ وأمـارات التشويه تظهر عليها، ناطقة بسـوء ما آلت إليه من إهمال.

وأقـدم من هـذه المرايا ما ورد في حكم الأدب المصري القديم وأمثاله من أن (المرأة القبيحة ترى وجهها في المرآة، والمرأة الجميلة ترى وجهها في عيون الآخرين).

وإذا تقدمنا خطوة في هذه المرحلة، لاحظنا إلى أي مدى يربط أحد الشعراء العرب بين المرأة والمرآة في حياتنا ربطاً قوياً محكماً، يتضحُ من خلاله عدمُ الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه؛ لأنهما صارا شيئاً واحـداً، أو صفة وموصوفاً أومسـنداً ومسـنـداً إليه بقوله:

إنمــا المـــرأةُ مـــرآة بــهـــا	كـل ما تنظـره منك ولك
فهــي شـيطان إذا أفسـدتها	وإذا أصلحتها فهـي ملك

ومثل هذا الربط الوثيق بين كل من المرأة والمرآة على لسان هذا الشاعر الحكيم، ما نلاحظه في قراءتنا أحد الأمثال الشامية، الذي وصف به صاحبه المرأة بأنها المشكاة التي تنيرُ للمرء قلبه، قائلاً: (المرا مراية «الألب» القلب).

وربمـا تأثر الأستاذ محمد السباعي بـدلالات هـذا المثل العامي فراح يرى أن (المرأة هي المرآة التي تُمثل مناقب الزوج، حتى يرى فيها نفســـه).

وفي الوقت نفســه يطالعنا اليابانيون بأحد أمثالهم التي نستشف منها مدى ربطهم الوثيق بين المرأة والمرآة، رابطاً



لا يمكن التخلي عنه: لأنه يجمع بين الشيء وتوأمه، والشكل وأداته، والجسم وروحه، بقول أحدهم: (المرآة روح المرأة، كما هو السيف روح المحارب).

وعقد نابليون بونابرت (ت ١٨٢١م) أواصر المشابهة بين المرأة والمرآة قائلاً: (المرأة تشبه المرآة تماماً؛ لأن كليهما فارغ الشيء).

ومن هذا المنطق ونحوه راح الأستاذ محمد السباعي يقرر أن (المرأة والمرآة قلما ينفصلان).

وراح غيره يكشف النقاب عن أوجه المشابهة بين المرأة والمرآة بقوله: (المرأة كالمرآة تنقل وتعكس ما ترى سريعة الشعور والانكسار..) و(المرأة هي المرآة التي تعكس كل ما هو جميل في هذا الكون). وذهب الضمير الشعبي الفلسطيني إلى أن (البيت) بكل متعلقاته هو المملكة الكبرى للمرأة، معبراً عن ذلك بقوله البيت مراية المَره.

وصور مثل فلسطيني آخر مدى شغف النساء، كل النساء، وولعهن بالمرآة مهما كانت أحوالهن المعيشية والنفسية، والبدنية متردية في دركات السوء قائلاً:

(حزينة ما لها عينين اشترت مراية بدرهمين)!!

وفي تصوير بعض العوام للمرأة الولعة بالزينة والتجمل، الكارهة لبيتها يطالعوننا بقولهم: «همها تقف ع المراية وتطرش، ومن البيت تطفش».

وللأستاذ أمين سلامة عدة أقوال مأثورة تندرج تحت هذا الإطار، نختار منها قوله: (إن المرأة عندما تفتح عينيها في الصباح، فأول ما تفكر فيه هو أن تهرع الى المرآة قبل أن تقول: الحمد لله، على نعمة الاستيقاظ.. والمرأة عندما تنظر في مرآة حقيبتها، فإنها لا ترى غير قبائح زوجها... وعيون المرأة تنعكس عليها حقيقة الواقع المحيط بها.. وماضي المرأة مرآة لا تحب أن تنظر إليها إطلاقاً..

المـــــراجـــع

١- أمثال النساء وكناياتهن في التراث العربي القديم: د. عبدالمجيد الإسداوي م. عرفات بالزقازيق. ط ٣، ٢٠٠٥م، ص ٨٦، ومجمع البلاغة: الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، م. الأقصى، عمان، ١٩٨٦م، ٥٢٧/١.

٣- الأمثال: أبو بكر الخوارزمي، موفم للنشر، الجزائر، ١٩٩٣م، ص ١٥٥، والسابق نفسه.

٤- موسوعة أمثال العرب: د. إميل بديع يعقوب، دار الجيل، ١٩٩٥م، ١٦٦/٣، ٣٥٧، ٣٩٣، والسابقة نفسه.

٥- قاموس الأمثال العربية التراثية: د. عفيف عبدالرحمن، م. لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٨١، والسابق نفسه، ص٨٥.

٦- الأمثال الشعبية الفلسطينية: فوزي قديح، دمشق، ١٩٩٢م، ص ٢٢١.

٧- ديوان كعب بن زهير المزني (ت ٤٥ هـ) بشرح أبي سعيد السكري (ت٢٧٥ هـ) الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٤٠ وأمثال النساء وكناياتهن، ص ٨٦.

٨- الحكم والأمثال في الأدب الفرعوني: د. سيد كريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٦٨.

٩- مرآة النساء فيما حسن منهن وساء: محمد كمال الدين الأدهمي، دار التوفيق، دمشق، ٢٠٠٠م، ص٢٦٢.

١٠- أمثال العوام ملح الطعام: حسن الصواف، دمشق، ٢٠٠٥م، ص ٧٣.. والمرا: المرأة.

١١- موسوعة أقوال الفلاسفة والحكماء في عالم النساء: سيد صديق عبدالفتاح، م. مدبولي الصغير، القاهرة، ط٢، ١٣٣/١.

١٢- قاموس الحكم والأمثال والأقوال المأثورة: سمير شيخاني ، م. عز الدين، بيروت، ١٩٩٣م.

١٦- الجامع في الأمثال الفلسطينية: إسماعيل اليوسف، عمان، ٢٠٠٠م، ص ١٣، والمرة: المرأة.

١٧- أمثال العوام في مصر والسودان والشام: نعوم شقير، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥م، ص٤٩٠.

١٨- موسوعة الأمثال الشعبية العربية (الجمان في الأمثال): جمانة طه، الدار الوطنية الجديدة، الرياض، ١٩٩٩م، ص ١٠٠، وألف وخمس مئة من الحكم والأمثال الشعبية، ص ٦٧.

١٩- المرأة في مرآتي، ١٣، ٤٢، ٥٥، ٧٨.

٢٠- قالوا: أنيس منصور، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص ٧، ٦٣، ٨٥، ١٨٥، ١٩٧، ٢٥٨، ٢٦٨.

٢١- أقوال غير مأثورة: محسن محمد، م. غريب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ١٥.



الفنون الإسلامية

الفن الإسلامي زاخر بالإبداع، الذي يعكس قدرات الفنان، ويعبر عن عظمة الحضارة التي ينتمي إليها. وهذا استعراض لنماذج فنية من المعادن، ترجع إلى أماكن وعصور مختلفة.

مجسّم حيواني سلجوقي كبير مسكوب من البرونز، وقد زين البدن والرقبة بتخريمات وأشكال زخرفية، وزُيِّنت أعلى القوائم بدوائر زخرفية نباتية.
خراسان، القرن ٦هـ/٢١م.

ركاب خيل من الحديد المزخرف بزخارف نباتية متشابكة مع أشكال هندسية نجمية، مموّه بماء الذهب.
شمال إفريقية، المغرب، القرن ٢١هـ/٨١م.

إبريق مغولي من النحاس ببدن مخروطي، مع مقبض على هيئة ثعبان (كوبرا). ويلاحظ غنى الإبريق بالزخارف الزهرية التي رسمت بماء الذهب وحُدِّدت باللون الأسود.
شمال الهند، القرن ٢١هـ/٨١م.


الفيصل





جين هيل
الجذور العربية
للرأسمالية الأوروبية
إن قدرة المؤلف على فهم التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى وتدقيقه الواسع في المصادر العربية والغربية للوصول الى استنتاجاته يجعلان هذا الكتاب يستكشف دور الإسلام في إطلاق النهضة الإقتصادية الأوروبية في القرن الثاني عشر وقد استخدم المؤلف العديد من المصادر من بينها ما كتبه جغرافيو ومؤرخو القرون الوسطى ليكون على بيّنة مما يقدمه لنا.
كلمة
KALIMA
الدار العربية للعلوم ناشرون
صدر حديثاً
عن الدار العربية للعلوم ناشرون